الأرشيدياكون

حبيب جرجس

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

إعداد

ملاك بشرى حنا

الطبعة الثانية مايو ٢٠٢٣م

الكتاب: الأرشيدياكون حبيب جرجس.

المؤلف: صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث.

إعداد: ملاك بشري حنا، باحث بالمركز.

الناشر: مركز معلم الأجيال لحفظ ونشر تراث البابا شنوده الثالث.

الطبعة: الثانية، مايو ٢٠٢٣م

رقم الإيداع بدار الكتب:٢٠١٨/٩٩٠٧م

قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

قداسة البابا كيرلس الخامس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٢ والقديس الأرشيدياكون حبيب جرجس

طرس البركة

لقداسة البابا تواضروس الثاني

وإن مات فهو يتكلم بعد...

غزارة المعرفة وعمقها في حياة المتنيح قداسة البابا شنوده الثالث جعلته يترك لنا تُراثًا روحيًا وأدبيًا وكنسيًا ربما لم تشهده أجيالًا كثيرة قبلًا.

وفي نفس الوقت هذا التُراث لم نحصره تمامًا حتى الآن.

ورغم أنه نُشر أكثر من ١٥٠ كتابًا بأحجام متنوعة وفي موضوعات عديدة تغطي مساحات كبيرة من المعارف المسيحية الروحية والكنسية والآبائية، والتي تُرجمت معظمها إلى العديد من اللغات، حتى صار اسمه معروفًا عالميًا أنه "مُعلم الأجيال". إلا أنه ما زال يوجد الكثير مما لم ينشر بعد.

وننشر لكم بعضًا من ذلك التُراث الخالد والذي لم يُنشر من قبل... ونقدم لكم كتاب:

الأرشيدياكون حبيب جرجس

وسوف تجد عزيزي القارئ متعة خاصة وأنت تستمع لصوت قداسته عبر الصفحات وبعد رحيله... يُعلمنا ويروينا من فيض معرفته وروحياته وخبراته

العميقة.

تقديري ومحبتي لكل من ســـاهم في إخراج هذه الكتب إلى النور خاصـــة مركز "معلم الأجيال لحفظ ونشر تُراث البابا شنوده الثالث" في كنيسة السيدة العذراء مريم بالزيتون بالقاهرة.

نفَّعنا الله ببركة صلواته لأجلنا كنيسةً وشعبًا وضعفي.

ونعمته تشملنا جميعًا.

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

هذا الكتاب

يواصل مركز "معلم الأجيال لحفظ ونشر تراث البابا شنوده الثالث" إصدار الكتب التي تحتوي على بعض العظات أو المقالات لقداسة البابا شنوده الثالث، لتميز تعاليمه بالروحانية والعمق والدقة والخبرة الروحية والعملية، وبهذه التعاليم ينير عقولنا وعيون قلوبنا.

هذا الكتاب يتحدث فيه قداسة البابا شنوده عن "**القديس الأرشيدياكون حبيب جرجس**" وذلك من خلال مقالاته التي نشرها قبل رهبنته باسم الأستاذ نظير جيد في مجلة مدارس الأحد، وبعد رسامته أسقفًا للتعليم وكذلك بعد رسامته بطريركًا للكرازة المرقسية. حيث كان قداسته يهتم دائمًا بأن يتحدث عن "الأرشيدياكون حبيب جرجس" في ذكرى نياحته – ٢١ أغسطس – وأيضًا ينشر مقالًا عنه في مجلة الكرازة، ليعَرف الناس فضل هذا الرجل القديس الرائد في التعليم الديني.

ويوضح قداسة البابا شنوده دور الأرشيدياكون حبيب جرجس فهو أول من بدأ التربية الكنسية وهو أول مدرس مدارس أحد في هذا الجيل، وأول من أنشأ فصل إعداد خدام. ويتكلم عن شخصيته المُحبة المملؤة بالطيبة والوداعة.

لقد قاسى الأرشيدياكون حبيب جرجس كثيرًا من أجل التعليم ومن أجل

الإكليريكية، وتعب كثيرًا جدًا واحتمل في صـــمت لدرجة أن تقواه وصـــفت بالإيمان والحب أما حياته فوصفت بالأشواك والصلب.

ولفضـل القديس الأرشـيدياكون حبيب جرجس على الكنيسـة الأرثوذكسـية، اعترف المجمع المقدس برئاسـة قداسـة البابا تواضـروس الثاني، بقداسته في ٢٠ يونيو ٢٠١٣م.

ببركة صلوات والدة الإله أم النور العذراء مريم، وقداسة البابا شنوده الثالث، وقديســنا الأرشــيدياكون حبيب جرجس. نتمنى لكم أوقات مباركة واســتفادة روحية عميقة.

القمص بطرس بطرس جيد

مركز معلم الأجيال

لحفظ ونشر تراث البابا شنوده

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور

١- وُلِدَ في ٣ أغسطس ١٩٢٣م، باسم نظير جيد روفائيل. في قرية سلاَّم بأسيوط.

٢- حصل على ليسانس الآداب – قسم التاريخ – من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا).

٣- التحق بالقوات المسلحة – مدرسة المشاة – وكان أول الخريجين من الضباط الاحتياط، سنة ١٩٤٧م.

٤- تخرج من الكلية الإكليريكية "القسم المسائي" سنة ١٩٤٩م، وكان الأول على الخريجين؛ فعُيِّنِ مُدرسًا فيها.

٥- عَمِلَ مُدرسًا للغة الإنجليزية والعربية، في إحدى المدارس الأجنبية.

٦- أتقَنَ الشعر منذ ١٩٣٩م، وكتب كثيرًا من القصائد الشعرية.

٧- في سنة ١٩٤٩م: تَكَرَّسَ للخدمة في الكلية الإكليريكية وبيت مدارس الأحد في روض الفرج بشبرا، وتولى رئاسة تحرير مجلة مدارس الأحد.

٨- صار راهبًا في دير العذراء الشهير بالسريان في ١٨ يوليو ١٩٥٤م.

٩- تمت سيامته بيد البابا كيرلس السادس، أول أسقف للتعليم والكلية الإكليريكية والمعاهد الدينية، باسم الأنبا شنوده في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢م.

١٠- بدأ الاجتماعات الروحية التعليمية منذ سنة ١٩٦٢م، واستمر فيها حتى نياحته سنة ٢٠١٢م.

١١- أصدر مجلة الكرازة في يناير ١٩٦٥م، واستمر في تحريرها حتى نياحته

سنة ٢٠١٢م (واستمر قداسة البابا المُعظَّم تواضروس الثاني في إصدارها).

١٢- اختارته السماء بالقرعة الهيكلية وتمَّ تجليسه البابا الـ١١٧ للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١م.

١٣- نَمَت الكنيسة القبطية في عهده، داخل مصر وخارجها؛ في كل قارات العالم: أفريقيا وآسيا وأوروبا وأستراليا والأمريكتين: الشمالية والجنوبية.

١٤- حصل على تسع شهادات دكتوراه فخرية من كُبرى جامعات أمريكا وأوروبا.

١٥- امتدت الكلية الإكليريكية في عهده، وأصبح لها ١٦ فرعًا في مصر وخارجها.

١٦- كتب أكثر من ١٥٠ كتابًا في كثير من المجالات الكتابية والروحية، واللاهوتية والعقائدية وفي الخدمة والرعاية والتربية.

١٧- قامَ بسيامة بطريركين و٥ أساقفة لكنيسة إريتريا و١١٢ أسقفًا وأكثر من ٢٠٠٠ كاهن و١٠٠٠ راهب.

١٨- قامَ برحلات رعوية ورسمية لكثير من بلدان العالم، وصلت إلى أكثر من ٨٠ رحلة.

١٩- رقد في الرب في ١٧ مارس سنة ٢٠١٢م، وكانت جنازة قداسته مهيبة وعظيمة، حضرها أكثر من اثنين ونصف مليون شخص، بشهادة الأنبا باخوميوس، مطران البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية والقائم مقام البطريرك. نيَّحَ الله نفسه في فردوس النعيم، ونَفَّعنا بصلواته.

الأرشيدياكون حبيب جرجس في سطور

١- ولد بالقاهرة في عام ١٨٧٦م من والدين تقيين. تنيح والده وهو يبلغ من العمر ٦ سنوات، وربته والدته تربية دينية.

٢- التحق بمدرسة الأقباط الثانوية بكلوت بك بالقاهرة، وأنهى دراسته بمدرسة الأقباط الثانوية في عام ١٨٩٢م.

٣- التحق بالكلية الإكليريكية في أول دفعة سنة ١٨٩٣م. وتخرج في الكلية الإكليريكية سنة ١٨٩٨م. ويعتَبَر القديس حبيب جرجس المؤسس الحقيقي للإكليريكية في عصرها الحاضر، فهو الذي اشترى لها الأرض وأسَّس لها المباني في منطقة "مهمشة" بالقاهرة، وأعد القسم الداخلي لمبيت الطلبة.

٤- عُيّن ناظرًا (مديرًا) للإكليريكية بخطاب من البابا كيرلس الخامس في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٨م واستمر في عمله هذا ٣٣ عامًا.

٥- أنشأ مدارس الأحد سنة ١٩١٨م لتعويض النقص الذي يعانيه الطلبة الأقباط في دراسة مادة الدين في المدارس الأميرية وبعض المدارس الأهلية.

٦- اختير عضوًا للمجلس الملّي العام. ورُشّح مطرانًا للجيزة سنة ١٩٤٨م ورفض البابا ذلك لأنه لم يُرسم راهبًا.

٧- عاصر أربعة من الآباء البطاركة، وكان مستشارًا لهم وهم أصحاب

القداسة: البابا كيرلس الخامس، والبابا يوأنس التاسع عشر، والبابا مكاريوس الثالث، والبابا يوساب الثاني.

٨- كما أصدر أكثر من ثلاثين كتابًا في شتى العلوم الدينية: في الروحيات والعقيدة والتاريخ والإصلاح الكنسي، وأصدر أيضًا كتبًا في الترانيم وفي الشِّعر. كما أصدر حبيب جرجس مجلة الكرمة عام ١٩٠٧م.

٩- تنيح في عشية عيد العذراء في ٢١ أغسطس سنة ١٩٥١م وله من العمر ٧٥ عامًا.

١٠- اعترف المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية برئاسة قداسة البابا تواضروس الثاني بقداسة الأرشيدياكون حبيب جرجس في جلسته بتاريخ ٢٠ يونيو ٢٠١٣م.

فكان نور[1]

إنهـا تقريبًـا نفس الصـــورة التي رســـمهـا لنـا ســـفر التكوين: "وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ... **ثم قَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ...**" (تك١: ٢، ٣).

إذا أردنا أن نحكم على رجل حكمًا سليمًا يجب أن نعرف أولًا الظروف التي عاش فيها، لذلك أستسمحك يا أخي الحبيب أن نرجع بعقرب الساعة إلى ستين سنة مضت.

البابا في منفاه

نحن الآن في ســـنة ١٨٩٢م، وحالة الكنيســـة مُرّة للغاية. من كل ناحية. المجلس الملي حديث التأســـيس والنزاع قائم على أشـــدّه بين البابا كيرلس الخامس وأعضـاء المجلس، والحكومة قد تدخلت في صـميم نظامنا الكنسـي بنـاء على طلب رجـال الأقبـاط "البـارزين"، فعن طريقهـا تم تـأليف المجلس وتشـكيله ووضـع قوانينه، ورئيس مجلس نظارها يقول للبابا كيرلس: "بما أنه قد صـــدر النطق العالي بتشـــكيل المجلس (الملي)، فلا بد من تنفيذ الأمر

[1] مقال نُشر في مجلة مدارس الأحد، بتاريخ نوفمبروديسمبر ١٩٥١م، بقلم أ. نظير جيد (قداسة البابا شـــنوده الثالث فيما بعد) الذي كان في ذلك الحين مدير التحرير والإدارة لمجلة مدارس الأحد، والتي كانت تشرف على سياستها اللجنة العليا لمدارس الأحد.

بالقوة العسكرية، بل ها هي ذي القوة العسكرية تتدخل فعلًا، وبناء على طلب أعضاء المجلس تقرر الحكومة نفي البابا إلى دير البراموس، ويتفق أعضاء المجلس مع أسقف صنبو في ٣٠ أغسطس على إدارة أمور البطريركية، وينتظر أساقفة الكرازة هذا الأسقف على المحطة ويحرمونه، وتغلق أبواب البطريركية في وجهه ويقاطعه الناس، ومع كل ذلك توضع إدارة الكنيسة في يدي هذا الأسقف المحروم ويبقى البابا في منفاه. بطلب المجلس وموافقة الحكومة.

الرعية والذئاب

هذا من ناحيتنا نحن، فماذا عن المنتهزين للفرص؟ إن قلة التعليم، وضعف الرعاية واضطراب الحال أعطى فرصة للخارجين أن يعملوا: فمن ناحية البروتستانت نشط المرسلون الأمريكيون وخاصة الدكتور هوج، والدكتور واطسون، والدكتور هارفي وإذا بهم في هذه السنة التي نتحدث عنها، وقد أسسوا "كنائس" في الأزبكية وحارة الساقيين والإسكندرية والفيوم والمنيا وأبي قرقاص وأسيوط والمطيعة والنخيلة وملوى والحواتكة والزرابي ومير وأبي تيج وصنبو وأخميم وقوص وإسنا.

وإذا بنشاط كلية الأمريكان بأسيوط قد ازداد، كما أنشأ هؤلاء المرسلون أيضًا مدرسة للاهوت تخرج منها كثيرون. وتفاقم خطر الكاثوليك أيضًا وأخذوا يعدون العدة لرسامة (أسقفين) للوجهين البحري والقبلي تحت رئاسة قبطي

تكثلك هو "كيرلس مقار" الذي عين فيما بعد (بطريركًا) أو شبه بطريرك.

الظلمة المحيطة

نحن الآن في أوائل ســـنة ١٨٩٣م وقد رجع البابا من منفاه في ٢٠ يناير وتولى ســلطته، ولكن الظلمة ما تزال قائمة. الشــعب جاهل بأمور دينه ولا يجد من يعلمه، والكهنة أنفسهم ليسوا متعلمين لأنه لا يوجد معهد اللاهوت الذي يثقفهم، وفي الكنيســـة كلها لا يوجد إلا واعظ واحد هو "الإيغومانوس فيلوثاؤس إبراهيم".

والبطريركية تشــكو من عســر مالي شــديد لدرجة أن الموظفين تمر عليهم أحيانًا ســتة أشــهر متوالية أو تزيد لا يقبضــون فيها مرتباتهم. أما قضــايا الأحوال الشخصية فقد تكاثرت لدرجة هائلة وصارت عبئًا ثقيلًا على كاهل اللجنة الملية، وضــاق الوقت عن حلّها، وتضــايق أصــحابها حتى انضــم بعضـــهم إلى مذاهب أخرى. مما أدى الأمر بالبابا كيرلس الخامس إلى إصدار منشور رعوي للكهنة قال فيه: "إن حصول هذه المشاكل بكثرة تدل على تكاسل وإهمال من الكهنة في تدبير الشعب وقعودهم عن التجول في البلاد، وعدم الاهتمام بالوعظ والتبشير وبذل الهمة في فض المشاكل التي تقع بين الأزواج وزوجاتهم".

وحتى الجمعيات التي كانت تعمل لافتقاد الفقراء ضعفت هي أيضًا... كما

أن اضطراب الحالة العامة دعى الناس إلى قطع اشتراكاتهم. وهكذا عجزت الجمعية الخيرية الكبرى عن دفع مساعداتها للفقراء.

والنور أضاء في الظلمة

"وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (تك١: ٢). ولعل روح الله كان يظهر في تلك الشخصيات القديسة التي كانت تلمع في تلك الفترات المظلمة وأقصد بذلك الأنبا أبرام أسقف الفيوم، والأنبا صرابامون أسقف الخرطوم، وغيرهما.

ووسط هذه الظلمة نبتت فكرة الإكليريكية. ووقف يوحنا بك باخوم في مدرسة الأقباط الكبري ليختار منها اثني عشر طالبًا ليكونوا نواة للإكليريكية، وكان الطالب **حبيب جرجس** هو أول من لبّى النداء، والتفت التاريخ ليكتب صفحة جديدة مجيدة في حياة الكنيسة.

وهكذا أضاء النور في الظلمة. وإن كان الظلام ما يزال سائدًا. فالإكليريكية التي أنشئت لتدريس الدين، والتثقيف بجميع أنواع الثقافات الدينية، لم يكن بها مدرس للدين. كانت تدرس بها اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، واللغة القبطية، والتاريخ المدني، والجغرافيا المدنية، والألحان. أما الدين فلم يكن يُدرّس لأن الكنيسة كلها لم يكن فيها مدرس للدين، وهذه هي الحالة التي نشأ فيها الأستاذ حبيب جرجس.

وناظر الإكليريكية وقتذاك "**يوسف بك منقريوس**" – رغم غيرته وتقواه – لم يكن من الباحثين في الدين، ولا من الدارسين له. وكل ما كان باستطاعته هو أنه كان يختار بعض الكتب الدينية ويسلمها للطلبة فيقرأون فيها أمامه.

وكثيرًا ما كتب الطلبة إلى غبطة السيد البطريرك، وإلى هيئة اللجنة الملية وقتئذ يطلبون تعيين مدرس للدين، كما كتبت بعض المجلات القبطية في هذا الموضوع. وهكذا بقيت المدرسة الإكليريكية أربع سنوات كاملة بدون مدرس للدين، فكانت النتيجة أن تركها معظم الطلبة؛ الذين دفعهم للالتحاق بها حبهم للدين ورغبتهم في التثقف به.

هل رأيت ظلمة أحلك من هذه؟

نعم... وهناك ما هو أسوأ من هذا: وهو أن بعض الجمعيات الغيورة، إذ لم تجد مدرسًا للدين في كلية اللاهوت (الإكليريكية) عرضت تدريس هذه المادة على المعلم "**عياد مرزوق البروتستانتي**"، فاعتذر. وعلى "**الخواجة تادرس حنا**" الموظف شيخًا عند الأمريكان، ولكن غبطة البابا رفض.

وهكذا عُين حبيب جرجس مدرسًا للدين بالإكليريكية وهو ما يزال طالبًا. وهكذا كان يتردد هذا الشاب الطموح على الإيغومانوس فيلوثاؤس إبراهيم في بيته ليتلقي عنه شيئًا من العلم، كما كان يعكف الليل والنهار في مكتبة البطريركية يقرأ الكتب ويلتهم منها العلم التهامًا.

وبدأ الشاب حبيب يعظ، واهتزت القلوب لوعظه، ووثق به البابا فجعله

شماسه وواعظ الكاتدرائية الكبرى، **وأخذ النور يشق طريقه وسط الظلمة.** ولم يكن حبيب جرجس يعظ في الكاتدرائية المرقسية فحسب، بل كان يطوف الأقاليم من بلد إلى بلد يدعوه الآباء المطارنة والأساقفة حينًا، وتدعوه الجمعيات والهيئات حينًا آخر. وهكذا قضى خمس سنوات متنقلًا بين ربوع البلاد "**لا يترك مدينة إلا ويرفع فيها الصوت عاليًا مناديًا بكلمة الله. فكان بمثابة دعاية طيبة للمدرسة الإكليريكية فأقبل عليها الكثيرون**".

والأستاذ حبيب جرجس وهو مدرس في الإكليريكية قبل أن يكون ناظرًا، كان مركز النشاط كله: فهو الذي كان يجمع التبرعات، ويدعو للمدرسة، ويشتري الأراضي، ويؤسس ويبني، حتى أن الناظر السابق سجل هذه الحقيقة في كتابه فقال: "ولما كان سرد الحقائق واجبًا، وكنا في مقام المؤرخ، وجب أن نذكر هنا حقيقة زاهية، وهي أن الفضل الأكبر في بث روح الجود والانعطاف لمساعدة تلك المشروعات، راجع لحضرة الفاضل الشماس حبيب أفندي جرجس...".

ثم صار الأستاذ حبيب جرجس مديرًا للإكليريكية، ولكي ندرك قيمة عمله يحسن أن نلم بالظروف التي عمل فيها الرجل، كان الظلام ما يزال سائدًا أيضًا.

يقول ميخائيل بك عياد في تقريره الذي قدمه للمجلس الملي: "إن الإكليريكية قبل الأستاذ حبيب كانت في مكان صغير متخرب تفوح منه الروائح

الكريهة، وكان الطلبة يرتدون جلاليب غير متناسبة، ويؤمّون المدرسة بدون شهادات ولا مراعاة سن. أما برنامج الدراسة فلم يكن يزيد عن أي مدرسة ابتدائية".

ويقول الأستاذ حبيب جرجس: "إن البيت الذي كانت فيه المدرسة كان بحاجة إلى الإنقاذ السريع من السقوط العاجل، وأما أثاث المدرسة فقد كان قديمًا جدًا وباليًا، وكانت مقاعد التلاميذ من تلك المقاعد التي تخصص لخمسة تلاميذ، كما كان مستوى الطلبة ضعيفًا كل الضعف".

ويضيف الأستاذ المدير: "فكان الجبين يندى خجلًا من وجود هيكل رث لأبنية قديمة العهد، ومن مظهر التلاميذ الذي لا يسر، حتى إنني كثيرًا ما اعتذرت إلى كثيرين من السائحين الأمريكان والإنجليز الذين كانوا يطلبون زيارة المدرسة!".

هذا عن طلبة اللاهوت، وماذا عن العرفاء؟!

يقول الأستاذ حبيب: "وكانت حالة العرفاء تستدعي علاجًا سريعًا شافيًا، إذ كانوا لا يأكلون إلا القليل من الطعام مما يجمعونه بأنفسهم من بيوت المحسنين. وقد رأيت بعيني رأسي بعضهم يجلسون في فناء المدرسة في الشمس يتدفأون بحرارتها مما يصيبهم من البرد، ويقطعون حشائش قذرة من الحديقة يأكلونها عندما يعضّهم الجوع بنابه، وفوق ذلك يُزجون عند النوم في حجرات رطبة كانت في الأصل مرابط للحيوان مهدمة ليس لها من

التحوطات الصحية شيء!!

كانت مناظر البؤس التي أراها بعيني كل يوم تمزق نياط قلبي، وتعذب نفسي وتزعج ضميري، وكنتُ أكتب لديوان البطريركية طالبًا تحسين حال العرفاء البؤساء رأفة بالإنسانية، ولكن الحالة المالية وقفت عن تلبية طلبي، فيمّمت شطر أبناء الأمة الأسخياء، ورأيت تخفيف آلام الإنسانية في هؤلاء البائسين في تحسين حالتهم في أكلهم ونومهم، وتعليمهم صناعة يدوية كأشغال الكراسي الخيزران، وكراسي الصفصاف، والسبتات والفرش، علاوة على ما يتعلمونه في المدرسة من ألحان كنسية وقراءة وكتابة بالحروف البارزة". هكذا كانت الظلمة سائدة قبل أن يقول الله: "لِيَكُنْ نُورٌ".

إيمان

وبدأ الأرشيدياكون حبيب جرجس يعمل في جيل من الجهل والفساد والظلمة والشح. آمن أستاذنا بالعلم، فكرّس نفسه للتعليم. علّم المعلمين في الإكليريكة، والأطفال والشباب في مدارس الأحد، والتلاميذ في المدارس الحكومية بكتبه، وعلّم بالمنبر وبالصحافة. ولكنه فهم الإكليريكية كمصدر للتعليم، فاهتم بها. اشترى الأرض، وشيد العمارة، وبنى الكنيسة، وأنفق في ذلك كله من ماله الخاص. ولكن هل أتتك قصة النور؟!

انتهى الأستاذ حبيب من تشييد عمارة الإكليريكية، غير أنه كان ينقصها

النور الذي كان ينقص حي الشرابية كله، فطلب ذلك من شركة النور ولكنها رفضـت مرارًا لأن الأمر يكلفها نحو أربعمائة جنيه، فوافق الأسـتاذ أن يدفع المبلغ كله، ورفضـت الشـركة حتى لا يصـبح مالكًا للخط، ولكنه لم ييأس ودعى مدير الشـركة لزيارة المدرسـة، **فزارها وأعجب بفخامتها وبعزيمة ناظرها، وهكذا أوصل النور، فأضاءت الإكليريكية وكانت سببًا في إضاءة الحي بأكمله.**

حبيب جرجس الشاعر[٢]

موسيقي

لم يدرس قواعد الشـــعر في بحوره وأوزانه وتفاعيله، ولم يكن على معرفة بالزحاف، والعَلة، ولا العروض والقوافي، ولكنه بالرغم من ذلك كان شـاعرًا. ولسـت أجد إلا تعليلًا واحدًا لهذا الأمر، وهو أن أسـتاذنا الكبير كان شـاعرًا بفطرته وطبعه، أو على وجه أصـح كان رجلًا موسـيقيًا نظم الشـعر كقطعة من الموسيقى وعرفه لحنًا قبل أن يعرفه ألفاظًا.

أوزان وألحان

ولقد جلسـت طويلًا أقلب صـفحات كتبه في الشـعر، وأدرس الرجل – لأول مرة – كشـــاعر. فوجدت أنه نظم في بحور كثيرة كاملة ومجزوءة قديمة ومولدة، ولكنه شـغف بالأكثر ببحور معينة أهمها المتقارب، ومجزوء الرمل، ومجزوء الكامل، ومجزوء الرجز، وإن كان لا يعرف قواعد المتقارب والرمل والكامل والرجز، إذ كان شاعرًا بفطرته.

وأغلب ظني أنه أعجب كل الإعجاب بألحان الكنيسـة، وشـغف بها شـغفًا،

[٢] مقال نُشر في مجلة مدارس الأحد بقلم أ. نظير جيد، بتاريخ نوفمبر وديسمبر ١٩٥١م.

ورددها لا كشماس أو رئيس شمامسة فحسب، وإنما كإنسان له عاطفة مرهفة وحس دقيق، وهكذا ثبتت نغماتها في فكره وخياله فنظم على سياقها شعرًا.

والذي يقرأ نبذته التي أسماها "مفتاح الأنغام للترانيم الأرثوذكسية" والتي أراد بها أن يُعرّف الناس النغمة التي ينشدون بها شعره، أو التي وضع شعره على أساسها، الذي يقرأ هذه النبذة يعرف أن أستاذنا الشاعر قد نظم قصائده على أنغام بعضها شعانيني، وبعضها كيهكي، وبعضها سنوي وحزايني على ألحان مأخوذة من الإبصاليات والذكصولوجيات والتذاكيات والمدائح وبعض مردات القداس.

مثال هذا

أُعجب أستاذنا الأرشيدياكون باللحن الحزايني (أري باميفئي أو باشويس) أو تأثر به في مناسبة خاصة، أو ردّده كشماس يودع منتقلًا، وإذا بهذا اللحن يذوب في قلبه وفي نفسه وفي فكره وإذا بالألفاظ القبطية تختفي وتتلاشى، ولا يبقى في قلب الرجل وفي نفسه وفي فكره غير الموسيقى والأنغام، وإذا به يضع لهذه الأنغام ألفاظًا عربية من عنده، يُحمّلها ما يشاء من المعاني الروحية التى يفيض بها قلبه. ويخرج على الناس بقصيدته التي يقول فيها:

ونحن في القفر هنا نسيرُ في وادي الدموع
وإنما سلامنا عند اللقاء بيسوع

ويقرأ الشعراء هذه القصيدة فيقولون إنها من مجزوء الكامل، وأما أستاذنا فلا يعرف مجزوء الكامل، ولكنه يعرف لحن (أري باميفئي) إنه ينظم الشـــعر لحنًا وموسيقى، ولا يهمه إن كان كاملًا أو رجزًا، وافرًا أو هزجًا.

علم وعمق وعاطفة

إن كل ما نشــر علينا من شــعر الأســتاذ حبيب جرجس يدخل جميعه في نطاق الشـــعر الديني، فإن له في ذلك فروعًا كثيرة، فقد كتب شـــعرًا في اللاهوت والعقيدة الأرثوذكســية، وفي التســابيح والتراتيل والأناشــيد، وفي التأملات الروحية.

وإن كان الشــعر – كفن – بما فيه من رقة وموســيقى وخيال يســتطيع أن يفسح صدره للتسابيح والتراتيل والأناشيد والتأملات، فإنه على ذلك قد يضيق باللاهوت والعقيدة، ولا تســمح أوزانه وألفاظه المرهفة أن تتحمل المعاني المزدحمة العميقة، ولكن شاعرنا حبيب جرجس استطاع بلطفه المعهود أن يحمّل الشــعر هذا أيضًــا، وهكذا نراه ينظم القصــائد عن التثليث، وقانون الإيمان، وأسرار الكنيسة واحدًا واحدًا، والصوم والشفاعة، والصلاة الربية وأعياد القديسين.

لقد كان الرجل معلمًا للكنيسة، واستخدم كل مواهبه في التعليم، حتى الشعر. ومع ذلك فقد كان شعره في العقيدة موسيقيًا سهلًا مليئًا بالروح.

استمع إليه وهو يشرح "**درجات الكهنوت وشرف خدمته**" فيقول:

خـدام ربـنـا الـعـلـي بـالـكـهـنـوت شـرفـوا
درجـاتـه الشـمـاس والقسـيس ثم الأسـقف

ألا ترى الرجل يقدم التعليم كعادته في أسلوب سهل لطيف؟ أو تأمل كلامه عن "**الصوم**" وهو ينشد:

قدسـوا للرب صـومًا ثم نـادوا بـاعـتـكـاف
إنـمـا الصـوم كـفـاح ونضـال وعـفـاف

إنك لا تجد في هذا الشعر عقيدة جافة، إنما تجد موسيقى بحر الرمل، مختلطة بحماسة التعبير، ويرف على الاثنين روح الوحي الإلهي، إذ أن البيت الأول مقتبس بنص من سفر يوئيل النبي.

الشاعر المعلّم

وأستاذنا لا يعتمد في شعره على تأثير الموسيقى فحسب، وإنما يهتم كمعلم بالمعاني وعمقها. وهكذا تجد أنه في قصيدة الصوم يتحدث عن صوم الأربعين، والأربعاء والجمعة وسبب ذلك، وعن كنه (جوهر) الصوم، وما يشترط فيه من امتناع عن الملاذ، وما يقترن به من توبة واعتراف وانسحاق نفس وتناول وتجديد وصلاة وصدقة وافتقاد لليتيم، وهو يتحدث عن الصوم

روحًا وجسمًا، وكيف أنه وسيلة لكبح النفس الجامحة. والسيطرة على الجسد الذي يصفه في القصيدة بقوله:

جسد الإنسان عاص ذو عتو وجموح
غير منقاد عنيد مائل إلى الطموح

وهو يُذكّر الناس بيونان، وبأن كل شعب الله وأنبيائه صاموا، ويغريهم بالصوم الذي به تصفو الروح، ويصلح الجسم السقيم، الصوم الذي يكبح النفس عن الغي ويطفئ الشهوات. كل ذلك في الشعر، وفي شعر موسيقي سلس، سهل، أية مقدرة هذه؟!!

من أين؟

ويعوزني المجال إذا أردت أن أحلل كل قصيدة من شعره وأبين ما فيها من معان كثيرة عميقة، ولكني أود هنا أن أوضح من أين استقى الرجل معانيه في الشعر.

لقد أخذ بعضها من المزامير، فله مثلًا قصيدة على المزمور ١٥٠ (سبحوا الله)، وأخرى على المزمور ١٢١ (رفعت عيني إلى الجبال)، وثالثة على المزمور ٢٣ (الرب راعي فلا يعوزني شيئًا) ورابعة على المزمور ٩١ (الساكن في ستر العلي). والمزامير في الواقع مادة مناسبة للشعر، فداود هو الشاعر الأول بين أولاد الله.

وأخذ أستاذنا بعضًا من معلوماته من كتب الديانة وتاريخ الكنيسة، وخاصة في قصائده الخاصة بالعقائد أو بتطويب العذراء أو القديسين. والكتاب المقدس عنصر هام في شعر الأستاذ حبيب، فغالبية أشعاره تأملات في آيات الكتاب المقدس.

نضيف إلى كل هذا ما كان له من خيال خصب، وفكر واسع وثروة كبيرة من مفردات اللغة. وما كان له من نفس شاعرية وموهبة موسيقية.

ولكي نأخذ مثالًا من ثروة الرجل اللغوية نتأمل قصيدته عن (كلام الله) التي يقول فيها:

كلام الإله غذاء القلوب يقدس نفسي ويحيي الفؤاد
يزيل الهموم ويعطي العزاء لذيذ لدينا كقطر الشهاد

وهي قصيدة طويلة من بحر المتقارب تعجب فيها من كمية المترادفات التي يستوعبها. ومن الألفاظ الكثيرة التي يأتي بها في معنى واحد، والتي لا تتضح فيها بسهولة الفروق الدقيقة التي بين كل نقطة وأخرى.

رجل ذوق

وقد كان شاعرنا رجل ذوق، يحسن اختيار اللحن الذي يصلح لغرضه. والمعاني التي توافق هذا الغرض، والألفاظ التي توافق تلك المعاني.

فقصيدته عن (الإنتقال من العالم)، التي أوردنا شيئًا منها، يختار لها النغمة الحزينة التي في لحن (أري باميفئي)، وقصـــيدته الحماســـية التي اختارها لتكون نشيدًا لمدارس الأحد والتي يستهلها بقوله:

نـحن جنـد للمســـيح فـــي مــدارس الأحــد

قد اختار لها مجزوء الرمل بلحن حماسي مناسب. وكتابه "إنعاش الضمير في ترانيم الصـــغير"؛ هو كتاب جميل فيه أشـــهى أبياته الموســـيقية، تأمل قصيدته "ترنيمة الصباح" التي يعدها للولد في مستهل يومه:

يـــا نفس قومي اســـتيقظي ها قد بدت شـــمس النهار
وليلـك المـاضـــي انقضـــى والنـور فـي الشـــرق أنـار
يـــا رب قـــدس طـــرقـــنـــا أنـــت كـــريـــم ذو اقـــتـــدار
على فمي ضـــع حـــارسًـــا فـــي كـــل قـــول وافـــتـــكـــار

إنها موسيقى وجمال وروحانية، تقدم للولد في قصيدة تصلح أن تكون نشيدًا. وما أجمل خيال الشاعر في قصيدته "تسبيح" التي يستهلها بقوله:

أرقـــى مـــع الـــمـــلائـــكـــة وفـــي يـــدي قـــيـــثـــار

وإن كان الأولاد لا يحتملون الأوزان الطويلة كبحور الطويل والبسيط والمديد، فإنه اختار لهم قصـــائد من بحور مولدة حديثة تناســـبهم مثل "ما أســـعد الصغار يأتون للمسيح" أو"النشيد يحلو من فم الصغار".

وبعد

فهل تظنونه قد نشـر كل شـعره؟! إن له شـعرًا آخر حدثني عنه وطلب إليَّ أن أبدي رأيًا فيه من ناحية الوزن، ولكن مرضـــه الأخير عاقنا عن ذلك، فلعلني عن طريق أسـرته الكريمة أنشـر عليكم هذا الشـعر. إن شـاء الرب وعشنا.

كارز العصر الحديث رائد التعليم المسيحي[٣]

كاد العصـر الذي نشـأ فيه أن يكون خاليًا من التعليم على الإطلاق، حتى أنه عندما أُفتتحت الإكليريكية لم يجدوا لها مدرسًـا للدين، فبقي الطلبة أكثر من ثلاث سنوات لا يدرسون الدين. ولم يكن هناك وُعّاظ، وكانت الطوائف قد بدأت تغزو الكنيسة.

وكما ذكرنا أن "الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ... ثم وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ" (تك١: ٢، ٣). وكان النور هو حبيب جرجس. بدأ نورًا خافتًا، ثم ما لبث أن اشتعل وتوهج، وملأ الكرازة كلها.

كان أول طالب التحق بالكلية الإكليريكية. والتحق معه أحد عشـر طالبًا آخرين، ولم يستمر منهم سوى واحد فقط!! ولم يجد من يعلمه الدين، فانكب على مكتبة البطريركية يلتهم المعرفة من كتبها التهامًا. وكان يسترشد بالعلامة القمص فيلوثاؤس إبراهيم، الذي كان شـيخًا متقدمًا في تلك الأيام، لما عينوه للتدريس بالإكليريكية لم يقم بعمله سوى أسبوعين ثم أغميَ عليه وحُمل إلى بيته ولم يرجع للكلية مرة أخرى.

وعُين حبيب جرجس مدرسًـا للدين بالكلية الإكليريكية، وهو ما يزال طالبًا بالسـنة النهائية. ولم يكن هناك تخصـص في علوم الدين وقتذاك، فقام

[٣] مقالتان نُشرتا في مجلة الكرازة، بتاريخ يناير ١٩٦٥، و١٩٩٠/٩/٧م

بتدريس كل شـــيء، حتى أوجد هو هذا التخصـــص فيما بعد عندما أعد مدرسين لشتى العلوم الدينية.

تاريخ حياته

✝ ولد بالقاهرة سـنة ١٨٧٦م. وتوفى والده سـنة ١٨٨٢م وربته والدته تربية دينية.

✝ التحق بمدرسة الأقباط الثانوية بكلوت بك بالقاهرة.

✝ التحق بالكلية الإكليريكية في أول دفعة سنة ١٨٩٣م.

✝ تخرج في الكلية الإكليريكية ســنة ١٨٩٨، ولكنه عين مدرسًــا بها وهو طالب بالسنة النهائية في مارس ١٨٩٨م.

✝ عين ناظرًا (مديرًا) للإكليريكية بخطاب من البابا كيرلس الخامس في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٨م واستمر في عمله هذا ٣٣ عامًا.

✝ رُشح مطرانًا للجيزة سنة ١٩٤٨م ورفض البابا ذلك لأنه لم يرسم راهبًا.

✝ تنيح في عشــية عيد العذراء في ٢١ أغســطس ســنة ١٩٥١م وله من العمر ٧٥ عامًا.

✝ عاصــر أربعة من الآباء البطاركة، وكان مســتشــارًا لهم وهم أصــحاب القداسة: البابا كيرلس الخامس، والبابا يوأنس التاسع عشر، والبابا مكاريوس

الثالث، والبابا يوساب الثاني.

أشهر واعظ

كان أشهر واعظ في جيله بعد القمص فيلوثاؤس إبراهيم.

أول عظة ألقاها كانت حوالي عام ١٨٩٨م في قاعة من قاعات مدرسة الأقباط الكبرى. كان موضوع العظة "الديانة المسيحية". وقد حضرها "تادرس بك المنقبادي" مؤسس جريدة مصر. فنقل العظة واستأذن في طبعها على نفقته الخاصة، ووزع ألوفًا منها على الشعب بلا مقابل.

ومن عظاته المشهورة العظة التي ألقاها في حفل أقامته جمعية النشأة في حارة السقايين. **وقد حضر هذه العظة قداسة البابا كيرلس الخامس، وظل واقفًا أثناءها مدى ساعة فرحًا به يباركه بعلامة الصليب في كل فقرة منها.**

ومن عظاته المشهورة أيضًا عظة ألقاها في جمعية الإيمان القبطية المركزية. وكان موضوعها "تاريخ الوعظ وأهميته في الكنيسة". وقد بادرت الجمعية سنة ١٩١٦م بطبع تلك المحاضرة على نفقتها. وتبرع بإيرادها لصندوق الجمعية.

كان حبيب جرجس في وعظه جهوري الصوت، قويًا، واسع المعلومات، يؤثر في سامعيه.

حبيب جرجس والجمعيات

حينما بدأ حبيب جرجس عمله، كانت الكنائس قليلة. وظهرت أهمية الجمعيات، على الأقل كميادين للوعظ، وأيضًا للخدمة الاجتماعية، في العناية بالفقراء، وإنشاء دور إيواء للمحتاجين. كما أن الجمعيات هي التي قامت بتأسيس الكنائس وبنائها. وذلك قبل أن يصدر القانون بفصل الكنائس عن الجمعيات في سنة ١٩٦٠م.

وقد قام حبيب جرجس بإنشاء جمعيات، وبتشجيع الجمعيات القائمة منها. كانت جمعية النشأة بحارة السقايين، من أهم الجمعيات التي كان يلقي فيها عظاته. وقد قام بإنشاء جمعية الإيمان المركزية، ونقلها إلى الفجالة. وأنشأ جمعية المحبة لتربية الأطفال.

وكان عضوًا عاملًا في الجمعية الخيرية القبطية الكبرى. وكان له فضل كبير في تأسيس جمعية أصدقاء الكتاب المقدس.

وقد أسس جمعيات للوعظ من داخل الكلية الإكليريكية. فأنشئت جمعية جنود الكنيسة، وجمعية نشر كلمة الخلاص، وجمعية الخريجين. واشتغلت هذه الجمعيات في ٨٤ مركزًا لخدمة الكلمة. واستطاعت في مدة وجيزة أن تنشئ كنائس في الصف والقناطر الخيرية وعين شمس وألماظة وغيرها.

حبيب جرجس المعلم

كان المعلم الأول في الكنيسة ومر وقت كان هو فيه المعلم الوحيد، حتى أخرج للكنيسة جيلًا من المعلمين.

قام بالتعليم وهو طالب بالكلية الإكليريكية، فقام بتدريس زملائه وهو في السنة النهائية، إذ لم تجد الكلية من يقوم بتدريسهم غيره. **وعمله في التعليم شمل الإكليريكية، ومنابر الكنائس والجمعيات كما علّم بقلمه أيضًا في كتبه العديدة. فاشتغل بالتدريس والوعظ والتأليف.** وكان يبحث عن كل مجال يحتاج إلى التعليم فيعمل فيه: كأن يتولى تأليف ما يلزم المدارس العامة من كتب لتعليم الدين. كذلك وضع ما يلزم مدارس الأحد من مناهج وكتب ودروس وصور.

وتعتبر مدارس الأحد من أهم ميادين حبيب جرجس في التعليم...

يعتبر حبيب جرجس المؤسس الحقيقي للإكليريكية في عصرها الحاضر...

كان أول طالب التحق بها سنة ١٨٩٣م، وتولى التدريس بها لزملائه وهو طالب في السنة النهائية. **وهو الذي اشترى لها الأرض، وأسس لها المباني في مهمشة، على مساحة تبلغ ٣٠٨٨ مترًا مربعًا.**

وضع أمامه زيادة عدد الطلاب وزيادة عدد المدرسين، وادخل فيها تدريس مواد المنطق والفلسفة، وعلم النفس، واللغتين العبرية واليونانية، وزيادة

العناية باللغتين العربية والإنجليزية، وأيضًا اللغة القبطية والتاريخ.

أعدّ القسم الداخلي لمبيت الطلبة إعدادًا يضمن للطلبة المعيشة المريحة. رفع مستوى الإكليريكية في التدريس من مدرسة إلى كلية.

أنشأ القسم الليلي الجامعي عام ١٩٤٦م الذي كان قداسة البابا شنوده أول خريجه. بعد أن كان لا يوجد بها أي مدرس للعلوم اللاهوتية، أمكنه تخريج عدد كبير من الأساتذة هم:

١- الأستاذ سمعان سيليدس، أول من قام بتدريس اللاهوت بعده.
٢- الأستاذ راغب عطية (القمص إبراهيم عطية)، لتدريس اللاهوت والوعظ.
٣- الأستاذ شنوده عبد السيد لتدريس اللغة القبطية.
٤- وبعده القمص تواضروس.
٥- الأستاذ كامل متى (القمص ميخائيل متى) لتدريس الكتاب المقدس.
٦- الأستاذ يسى عبد المسيح لتدريس اللغة اليونانية.
٧- الأستاذ إدوارد يسطس الدويري (نيافة الأنبا ديسقورس أسقف المنوفية فيما بعد) لتدريس تاريخ الكنيسة.
٨- المتنيح القمص قسطنطين موسى لتدريس مادة التفسير.
٩- وادخل في هيئة التدريس الأستاذ تكلا رزق لتدريس مادة العلم والدين.
١٠- وكذلك المعلم ميخائيل كبير مرتلي الكنيسة لتدريس الألحان والقداس.

هذا هو الجيل الأول من المدرسين الذين أعدهم حبيب جرجس.

✞ تخرج هو سنة ١٨٩٨م، وصار مديرًا للكلية سنة ١٩١٨م.

✞ واحتفل سنة ١٩٣٨م بمرور أربعين سنة على تخريج أول دفعة من الكلية، في احتفال مهيب شرّفه أحبار الكنيسة. ووضع في ذلك العام كتابه التاريخي الهام: "**الإكليريكية بين الماضي والحاضر**".

✞ جال في أقطار الكرازة يعظ ويجمع تبرعات للكلية. واستطاع عن طريق محبيه أن يوقف لها ٣٦٥ فدانًا.

✞ أهداه قداسة البابا كيرلس الخامس منزلًا لإقامته، فأهداه بدوره للكلية الإكليريكية.

✞ بنى كنيسة للكلية يصلي فيها الطلبة، ويتدربون فيها على الوعظ، هي كنيسة العذراء بمهمشة حاليًا.

حبيب جرجس والتعليم الديني بالمدارس

جاهد في هذا الأمر مع وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم). وجاهد فيه أيضًا مع المدرسين. وأعد لهم الكتب والدورات التدريبية. **وبدأ في إعداد المناهج التعليمية، وفي تأليف الكتب اللازمة لها.**

وفي عام ١٩٠٩م أصدر لذلك كتابه "خلاصة الأصول الإيمانية" في ثلاثة أجزاء لسنى الدراسة الابتدائية الأربع. وتهافت على اقتنائه المدرسون والطلبة. وفي عام ١٩١٣م صدرت الطبعة الخامسة من هذا الكتاب. وفي عام ١٩٣٧م أصدر ثمانية كتب جديدة باسم "المبادئ المسيحية

الأرثوذكســـية" لتوافق المناهج الجديدة؛ أربعة كتب منها للتعليم الابتدائي، وأربعة للتعليم الثانوي. وإن كانت كتبه يعتمد عليها المدرســون في المدارس الحكومية، فقد صارت هي الكتب المعتمدة في كل المدارس القبطية الحرة.

حبيب جرجس الصحفي

أصدر مجلة الكرمة التي استمرت سبعة عشر عامًا مجلة رائعة المستوى تمثل التعليم الكنسي. أصدرها سنة ١٩٠٧م، واشترك معه في تحرير هذه المجلة أشهر الكتاب في أيامه ومنهم:

- ✞ جبرائيل بك الطوخي؛ رجل القانون.
- ✞ نصيف بك الطوخي؛ رجل القضاء.
- ✞ الأرخن الأستاذ تكلا رزق.
- ✞ الأســتاذ يســى عبد المســيح؛ الأســتاذ بالكلية الإكليريكية وأمين مكتبة المتحف القبطي.
- ✞ الأستاذ سمعان سيليدس؛ أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية.
- ✞ قوسة بك جرجس؛ الواعظ والكاتب.
- ✞ الأستاذ كامل جرجس (شقيقه).
- ✞ عزيز بك مرقس.
- ✞ داود بك غالي.

ولأول مرة بدأت هذه المجلة تنشر ترجمات لأقوال الآباء القديسين.

وتنشـــر بحوثًا قانونية، وبحوثًا في العلم والدين، وفي الكتاب المقدس، والعقيدة واللاهوت، ويشـمل كل عدد عظة قوية من عظات حبيب جرجس. وغالبًا توقفت المجلة لأسباب مالية، إذ كانت تشكل عبئًا ماليًا عليه...

مؤلفات الأرشيدياكون حبيب جرجس

أصـــدر أكثر من ثلاثين كتابًا في شـــتى العلوم الدينية، وفي تعليم الدين بالمدارس، وفي الروحيات والعقيدة، والتاريخ. بل أصـــدر كتبًا أيضًـــا في الترتيل. ومن أهم هذه الكتب:

١- سر التقوى.

٢- نظرات روحية في الحياة المسيحية.

٣- عزاء المؤمنين.

٤- روح التضرعات والخولاجي المقدس.

٥- سلم السماء (كتب قام بنشرها).

٦: ٨- خلاصة الأصول الإيمانية (٣ أجزاء).

٩: ١٢- الكنز الأنفس في التاريخ.

١٣: ٢٠- كتب المبادئ المسيحية الأرثوذكسية.

٢١- أسرار الكنيسة السبعة.

٢٢- الصخرة الأرثوذكسية.

٢٣- مار مرقس الإنجيلي (بالاشتراك).

٢٤- المدرسة الإكليريكية بين الماضي والحاضر.

٢٥- حياة القديسين أنطونيوس وبولا.

٢٦- برلام ويواصف.

٢٧- أناشيد أرثوذكسية وترانيم عقائدية.

٢٨- ترانيم وأناشيد روحية.

٢٩- إنعاش الضمير في ترانيم الصغير.

٣٠- الوسائل العملية للإصلاحات القبطية.

٣١: ٤٧- مجلة الكرمة (١٧ سنة).

شخصيته

كان وديعًا طيب القلب، يحتمل في هدوء، ولا يرد على معارضيه وكان حلو اللســان لا يذم أحدًا. وكان بتولًا ناســكًا، وكله غيرة.[٤] وكان حبيب جرجس

[٤] انظر قصيدة "وأب أنت" في نهاية الكتاب

يؤمن بالعمل الإيجابي. لم يضـيع وقته وجهده في انتقاد الضـعف الموجود في أيامه، وإنما بدأ يعمل ويبني. حفر أساسًا ووضع حجرين أساسيين هما "الكلية الإكليريكية ومدارس الأحد". وظل البناء ينمو، وهو ينشـد: "وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف وربوات ربوات، يصنعون مشيئتك". طاف أقاليم الكرازة كلها يعظ ويبشـر، وينشـر النور في كل مكان. وأخرج مئات الوعاظ من تلاميذه يعظون ويكرزون.

صفحة بيضاء من تاريخ كنيستنا[٥]

في عيد السيدة العذراء من كل عام، نذكر الرجل الذي كتب صفحة بيضاء من تاريخ كنيستنا الحديث. نذكر مؤسس الإكليريكية في جيلنا الحاضر، ومؤسس مدارس التربية الكنسية الأرشيدياكون (حبيب جرجس).

فلتكن روح هذا الرجل العظيم معنا، ترفرف علينا وتشفع فينا أمام الله وتصلي من أجل العمل لكي يكمله الرب حسب مشيئته الصالحة الطوباوية، ببركة هذا الأرشيدياكون المملوء من الغيرة.

قبل حبيب جرجس لم يكن للإكليريكية مبنى خاص، ولا مكان مستقر، ولم تكن لها مناهج دينية، ولا طلبة يختارون على أسس سليمة. كان كل شيء مظلمًا، حتى أن الدفعة الأولى ضمت ١٢ طالبًا تفرقوا كلهم ولم يبقى منهم إلا اثنان.

محبة البابا كيرلس الخامس

وجاء حبيب جرجس المؤسس، تساعده قوة جبارة من تأييد البابا كيرلس الخامس الذي أحب الإكليريكية، وزوّد مديرها بكل الإمكانيات والمعونات حتى كان يدفع له أحيانًا من خصوصياته، كما ينفذ له كل اقتراحاته

[٥] مقال نشر في مجلة الكرازة، بتاريخ سبتمبر ١٩٦٧م.

للإصلاح بعطف كبير.

وأحس حبيب جرجس بهذه المحبة الكبيرة. ودعا البابا البطريرك إلى جناح خاص أقامه له في الإكليريكية. وجاء البطريرك وزار ذلك الجناح. وسـر به جدًا حتى قال: "هذه هي البطريكخانة الجديدة، وسـأجعل هذا المكان مقري. وكل من يريد مقابلتي، فليقابلني هنا" ثم قال: "اليوم زيارة، والمرة القادمة إقامة". **وأقام غبطته بذلك الجناح نحو شهر من الزمان في الإكليريكية في سـرور شـامل.** وكان طول مدة إقامته يردد الكلمات الآتية: "يا خسـارة. جاءت في الآخر ولكن جاءت في أوانها".

حبيب جرجس يبني ويعمل

وبتأييد من البطريرك جال حبيب جرجس في البلاد يدعو الناس إلى تأسيس الإكليريكية وجمع أموالًا طائلة من محبة الواثقين به ومن المؤمنين بدعوته.

أقنع عجوزًا من جيرانه اسـمها خريسـتا جرجس فأوقفت سـتة فدادين للإكليريكية، وثلاثة أفدنة للجمعية الخيرية، **واشـترى للإكليريكية أطيانًا بمديرية المنيا قدرها ٣٦٥ فدانًا.**

أخذ يشـتري جميع الأراضـي والمنازل المحيطة بمبنى الإكليريكية القديم، حتى أصـبحت مسـاحة الكلية ٥٣٩٩ مترًا مربعًا. وبنى مبنى جديد فخمًا للإدارة والدراسة والمبيت، واشترى له كل ما يلزمه من أثاثات جديدة. وأسس

أيضًا مدرسة العرفاء الملحقة بالكلية وشيّد لها مبنى خاصًا. ومن التبرعات التي جمعها بنيت أيضًا مدرسة الأقباط الصناعية ببولاق.

بناء كنيسة الإكليريكية في مهمشة.

كان لا بد من وجود كنيسة خاصة بالإكليريكية يصلي فيها الطلبة، ويتدربون على الوعظ، ويتمرسون في طقوس الكنيسة، ويقومون بواجباتهم في العبادة. وفي ذلك يقول حبيب جرجس: "إن بناء كنيسة بالمدرسة الإكليريكة كان أمرًا ضروريًا جدًا، لأن المدرسة بدونها لا تزيد عن مدرسة علمية".

وهكذا اشترى الأرض، وأقام البناء، وحضر البابا يوأنس التاسع عشر لتدشين الكنيسة، ومعه صاحبا النيافة الأنبا كيرلس مطران أثيوبيا، والأنبا أثناسيوس مطران بني سويف. وصلى قداسته أول قداس فيها في ٦ مارس سنة ١٩٣١م.

تنظيم الكلية ومستقبل خريجيها

وسن حبيب جرجس قانونًا للمدرسة الإكليريكية، ورفع مستواها حتى صارت كلية لاهوتية. وزودها بمجموعة من الأساتذة المؤهلين، وادخل فيه كثير من العلوم الفلسفية واللغوية. وعمل على تأمين مستقبل خريجيها فتم الآتي:

أرسل قداسة البابا يوأنس منشورًا في ١٠ مايو ١٩٣٠م يشترط رسامة الكهنة

من خريجي الإكليريكية، ومنشـــورًا آخر بنفس المعنى في ٢٥ ســـبتمبر ١٩٣١م، ومنشورًا ثالثًا في ١٧ أبريل سنة ١٩٣٧م.

واجتمع المجمع المقدس في ١٧ مايو ســـنة ١٩٣٧م وقرر: عدم جواز اختيار قسوس للكنائس إلا من طلبة المدرسة الإكليريكية الحاصلين على دبلومها النهائي.

نشاط الكلية الإكليريكية

وأقام حبيب جرجس بالكلية لجانًا للوعظ وانتشـــر الطلبة يعظون في القاهرة والأقاليم. وألف لجنة للترجمة والنشر، ترجمت كثيرًا من أقوال الآباء، ونشر بعضـــها في مجلة الكرمة وأســـس الطلبة والخريجون كثيرًا من الجمعيات القبطية. واهتم بتعليم الدين في المدارس الحكومية والقبطية، ووضـــع لها المؤلفات العديدة. واهتم بمدارس التربية الكنسية ووضع لها المناهج وأعد لها المدرسين واهتم بترجمة الإنجيل عن القبطية وطبع منه البشائر الأربع.

وعاش حبيب جرجس في الرب حياة مملوءة من النشـــاط والغيرة، وعاش في قلوب الملايين من الأقباط، وما زال يعيش.

✝🕊✝🕊✝

رجل الفضائل[٦]

الأستاذ حبيب جرجس الذي تسمعون اسمه منا كثيرًا هو مؤسس الكلية الإكليريكية في عصرها الحديث وأول طالب فيها ومؤسس مدارس الأحد. وقد تنيح في عيد العذراء سنة ١٩٥١م، والبابا كيرلس الخامس أيضًا تنيح في عيد العذراء، والأنبا رويس أيضًا تنيح في عيد العذراء، ولكن ليس في عيد صعودها. وحبيب جرجس بالنسبة لنا عندما نتكلم عنه في ذكراه إنما نضع أمامنا النقاط الآتية:

أولًا: من الأبرار

إنه من الأبرار الذين عاشوا بيننا في غير نطاق الكهنوت والرهبنة وفي غير نطاق الشهداء، لأنكم تلاحظون أن غالبية الكُتب والتذكارات والأعياد الكنسية تكون إما رجال كهنوت أو رجال رهُبان أو شهداء.

لكن هذا شخص عاش في العالم كخادم عادي بلا كهنوت بلا رهبنة بلا استشهاد، وكان من الأشخاص الأبرار الذين قدموا خدمة جليلة للكنيسة. وليتنا باستمرار نجد أشخاصًا من هذا النوع نتحدث عنهم لئلا البعض يظن

[٦] عظة لقداسة البابا شنوده الثالث بعنوان "المعرفة والعلم، بمناسبة نياحة الأرشيدياكون حبيب جرجس"، ١٩٧٩/٨/٢٤م

أن القداسة مرتبطة بالكهنوت فقط، وخارج هذه الرتب لا توجد قداسة.

ثانيًا: مكانة هذا الرجل

بلغ هذا الرجل من محبة الناس له ومن مكانته الكبيرة في نظرهم، أنهُ رُشح لكي يكون مطرانًا للجيزة سنة ١٩٤٨م (في المرة التي اُختير فيها نيافة الأنبا يوأنس المُتنيح)، والبعض اعترضوا قائلين: كيف نختار شخص علماني لكي يكون مطرانًا؟ وأتذكر أن الأستاذ وهيب عطا الله (نيافة الأنبا غريغوريوس) كتب مقالًا ونشره تحت عنوان: هل الأرشيدياكون حبيب جرجس علماني؟

وشرح أن "كلمة علماني" معناها شخص مهتم بأمور العالم، ولكن حبيب جرجس كان "أرشيدياكون"؛ رئيس شمامسة، كان رئيس طغمة من طغمات الكهنوت في الكنيسة وهي طغمة الشمامسة، فليس من المعقول شخص مكرس لله وشماس ورئيس شمامسة نطلق عليه "علماني"، فكنسيًا هذا التعبير غير صحيح، ثم شرح كيف أن حبيب جرجس لم يكن علمانيًا، إنما كان من رجال الإكليروس. هي المشكلة حاليًا أننا نحصر الإكليروس في رجال الكهنة والأساقفة فقط لأنه لا يوجد لدينا شمامسة مكرّسين للخدمة، بمعنى أنه ليس لهم عمل سوى كونهم شمامسة.

حبيب جرجس أعطانا فكرة عن الشماس المُكرّس في هذا الجيل، الذي ليس له عمل سوى أن يكون شماسًا مكرّسًا للخدمة. وكان مكرسًا لخدمة

التعليم في الكنيسة المقدسة. صحيح أن الرئاسة الدينية في ذلك الحين لما تشأ أن تختاره لرتبة الأسقفية، لكن لا يوجد في قوانين الكنيسة ما يمنع من أن مثل هذا الرجل يرسم أُسقفًا أو مطرانًا، فالشماس أثناسيوس اختير ليرسم بطريركًا، وقديمًا كان مدراء الكلية الإكليريكية وأساتذتها يختارون للبطريركية ولم يكونوا رهبانًا في ذلك الحين.

ثالثًا: خادمًا بمعنى الكلمة

أمر آخر في حبيب جرجس أنه رجل عاش خادمًا للكنيسة بلا إمكانيات على الإطلاق، لم يكوّنه أحد إنما كَوَّن نفسه بنفسه.

صار المعلم الأول والمعلم الأكبر في الكنيسة المقدسة في جيله ولم يكن هناك من يعلّمه. فهو لم يتلق التعليم على أحد، لم يكن في الكنيسة في أيامه معلمين. وعندما أسسوا الإكليريكية في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩٣م، لم يجدوا شخصًا يختارونه لتدريس الدين، لم يجدوا أحد لكي يدرس الدين في الإكليريكية! وأبونا فيلوثاؤس إبراهيم الوحيد الذي كان يصلح لهذه المهمة لم تساعده صحته.. فاختاروا الطالب حبيب جرجس لكي يتولى تدريس الدين في الإكليريكية لزملائه وهو طالب.

وكان يجلس إلى الكتب في مكتبة البطريركية ويقرأ كثيرًا ويثقف نفسه وبالثقافة التي يتعملها من الكتب يُعَلِم الآخرين، فهو إنسان عصامي كوّن

نفسه بنفسه. وكان يقرأ ويكتب كثيرًا. ثم أُختير مديرًا للكلية الإكليريكية سنة ١٩١٨م بعد تخرجه بعشرين سنة، التحق بالإكليريكية سنة ١٨٩٣م، وتخرج واختير مدرسًا في سنة ١٨٩٨م، ثم اختير مديرًا للكلية الإكليريكية سنة ١٩١٨م. وفي الحقيقة مدير الإكليريكية الذي كان قبله (يوسف منقريوس) لم يكن متخصص في الدين.

رابعًا: شخص إيجابي

حبيب جرجس كانت فيه فضيلة جميلة وهي العمل الإيجابي...

ما معنى "العمل الإيجابي"؟ كان يوجد ضعف في الكنيسة في ذلك الحين ونقص في التعليم، وضياع في نواحي أخرى وهناك أناس كانوا يشتموا الكنيسة، والشتيمة لم تأت بنتيجة. وهناك أناس كانوا يتشاجرون مع الإكليروس ويرفعوا عليهم قضايا ويذهبوا إلى المحاكم، ومشاكل على الأوقاف والأمور المالية، ومشاكل المجلس الملي، وكل المشاجرات لم تأت بنتيجة، وهناك ناس كانوا يبكون وينوحون ويقولون: "الكنيسة ضاعت" والنوح والبكاء لم يأت بنتيجة.

لكن حبيب جرجس امسك حجرين أساسيين، (حجر اسمه الإكليريكية والثاني اسمه مدارس الأحد). وحفر أساسًا وبنى، وظل يبني ويرتفع البناء وهو يرتل ويقول: "وأما شعبُكَ فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات

يصـنعون مشـيئتك". **وجد أن التعليم لازم للكنيسـة وأنه بدون التعليم كما يقول الكتاب: "هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ" (هو ٤: ٦).**

فاهتم بالتعليم على الأقل في ثلاثة نواحي:

١- التعليم في الكلية الإكليريكية لإخراج وعّاظ وكهنة مثقفين.
٢- التعليم في المدارس القبطية والمدارس الحكومية.
٣- التعليم في مدارس الأحد.

ونجح في الثلاث نواحي إلى أبعد الحدود. واهتم بالتعليم أيضًـا عن طريق الجمعيات والصـحافة؛ فأنشـأ مجلة الكرمة وظلت تصـدر ١٧ سـنة، وكانت أعظم مجلة قبطية في زمانها، وبها مقالات في منتهى الدسم؛ وأيضًـا ترجمة لأقوال الآباء القديسين، ومقالات على مستوى البحوث (كل مقالة عبارة عن بحث من البحوث)، وكانت تصدر كمجلة شهرية.

واهتم بـالتعليم عن **طريق الوعظ** فكـان يجول بلاد القطر كلـه يعظ في كـل مدينـة، وفي كل قرية، وفي كل محافظة، وكل إبيارشـية، **وكان من أعظم الوعاظ في زمانه.** وملأ الدنيا تعليمًا وبدأ من لا شـيء... فلم تكن هناك كلية إكليريكية بالمعنى المفهوم.

أول من أنشـأ الكلية الإكليريكية كان (يوحنا بك باخوم) في ذلك الحين، حيث ذهب إلى مدرسـة الأقباط الكبرى واختار خمسـة طلاب، كان أولهم حبيب جرجس، وثانيهم أبونا حنا شـنوده (والد أبونا شـنوده حنا في كنيسـة

المعلقة)، كان ثاني طالب في الكلية. والكلية الإكليريكية عينوا لها غرفة في مدرسة الأقباط الكبرى – لم يكن لها مبان – ثم بعد ذلك وضعوها في الفجالة وكانت الحالة سيئة جدًا.

حبيب جرجس اشترى الأرض بمهمشة وبنى فيها كلية إكليريكية، وكان يسمي ذلك المبنى "**عروس مهمشة**" لأنه كان مبنى جميل ولطيف وسط حي مهمشة القديم في ذلك الزمان، كانت أفضل المباني في أيامه، وأنشأ عنابر، وأحضر أسرّة، وكان يأخذ صور للأسِرّة والعنابر ويعرضها للناس، فكانوا فقراء جدًا وقتها ولم يكن هناك شيئًا أبدًا.

بعد ذلك نقلنا الإكليريكية سنة ١٩٥٣م لمبنى الأنبا رويس، وكانت في مهمشة إلى ذلك الزمان.. نقلناها ودرّسنا فيها ثم بعد ذلك جاء المجلس الملي وأحضروا أكثر من عربة كارو ونقلوا عفش الإكليريكية وأعادوه لمهمشة مرة أخرى وطردونا، وقالوا سوف نجعلها مدرسة علمية على مستوى سان مارك التي بالإسكندرية، وأدخلونا في صراع إلى أن وقف معنا قداسة البابا يوساب الثاني – نيح الله نفسه – في هذا الموضوع لنقل الإكليريكية إلى الأنبا رويس، (هو جيل يسلم جيل حتى يصل).

حبيب جرجس بدأ ولم تكن الإكليريكية موجودة، وعندما كان يطلب مالًا من البطريركية، لا يعطوه شيئًا، فصار يسعى ويجمع تبرعات من كل مكان حتى اشترى ٣٦٥ فدان للكلية الإكليريكية، واشترى أرض بمهمشة، وبنى

مبنى الدراســـة في الإكليريكية، وبنى مبنى داخلي في الإكليريكية، وبنى كنيسة للكلية الإكليريكية – التي هي حاليًا كنيسة العذراء مهمشة – كانت كنيســـة الكلية الإكليريكية يصـــلي فيها الطلبة ويعظوا فيها. ودبر أمور الإكليريكية، وبدأت ترتقي.

أيام حبيب جرجس كان هو مدرس الدين الوحيد في الإكليريكية، ثم بعد ذلك وُجد مدرس للاهوت، ومدرس للوعظ، ثم أصبح هناك مدرس للكتاب المقدس بعهديه. ثم بعد ذلك بدأت تتفرع وأصـــبح هناك مدرســين للاهوت النظري، واللاهوت عقيــدي، واللاهوت الطقســـي، واللاهوت الرعوي، واللاهوت الروحي، واللاهوت المقارن، واللاهوت الأدبي. وأصـــبح هناك فروعًا كثيرة. لكن أيام حبيب جرجس لم يوجد ســـوى مدرس لاهوت واحد هو حبيب جرجس، وبعد منه "**ســمعان ســليدس**" وبعد منه "**أبونا إبراهيم عطية**"، بعد ذلك دخل كثير من المدرسين، لأن تفرُّعات العلم شملت أكثر من أستاذ.

حبيب جرجس بدأ الخدمة في مدارس الأحد...

إن وجدتم عندكم آلاف من الخدام وعشـــرات الآلاف من الخدام في التربية الكنســـية، فاعرفوا أن الذي بدأ التربية الكنســـية هو الأرشـــيدياكون حبيب جرجس... كان يُحضـر فصـل في البطريركية ويعلّموا الأطفال، وكان يُسـر جدًا البابا البطريرك الذي كان يحضر أحيانًا ليشاهد الأطفال الذين يعلموهم، ثم بعد ذلك أصـــبح هؤلاء الأطفال مدرســين ثم أُمناء وبدأوا يكوّنوا فروع ثم

ذهبوا للقرى، وبعد ذلك كثرت الخدمة والخدام.

لكن أول مدرس مدارس أحد في هذا الجيل هو حبيب جرجس، وأول من عمل فصل إعداد خدام هو حبيب جرجس. وكان يقوم بطبع صور جميلة جدًا لمدارس الأحد رأيتها، كانت صور ملونة وعلى ورق كوشيه شيء في منتهى الجمال!! لا أظن أن مدارس الأحد عندها صور من هذا النوع.

بدأ يؤلف كتب لخدمة مدارس الأحد وكتب للتعليم الديني، وكتب لدراسة الكتاب المقدس، وكتب للعقيدة، وكتب للروحيات، وكتب للترانيم، وكان شاعرًا يكتب الترانيم ويؤلفها، من ضمن ترانيمه المشهورة التي نرتلها ترنيمة "كلام الإله غذاء القلوب" وبدأ يعمل نشيد مثل: "شبابُ الكنيسة هيا قيامًا"، كل هذا من الأستاذ حبيب جرجس.

وكان يعمل التراتيل مثل ما كنت قد كتبت عنه مقالة عنوانها حبيب جرجس الواعظ حبيب جرجس الشاعر سنة ١٩٥١م قلت: "حبيب جرجس لم يكن شاعرًا بأنه درس الشعر، أو درس البحور، أو درس الأوزان، أو درس التفاعيل أو الزحاف أو العلة، لم يدرس هذه الأشياء".

لكنه درس ألحان الكنيسة كشماس، يتشبع بالنغمة ثم النغمة التي في ذهنه يكسوها كلامًا وتتحول إلى ترتيلة، **فتراتيله مبنية على أنغام ألحان وليس أوزان تفاعيل بحور من الشعر.**

خامسًا: الرجل المحبوب

حبيب جرجس صـــار إنســـانًا محبوبًا في كل مكان، عندما كانوا يقيموا انتخابات المجلس الملي وكان يدخل فيها، كان هو الأول في الانتخابات لأنه رجل محبوب جدًا. وفي المجلس الملي كان يدخل في لجنة المدارس حتى يهتم بالتعليم وكان يدخل في الأحوال الشخصية لكيلا يسمحوا بقضايا طلاق.

حبيب جرجس كان إنسان طيب جدًا إلى أبعد الحدود...

كان يتميز بالوداعة والاتضاع والطيبة، وكانت بيني وبينه محبة. وكنت في كل مرة أذهب لحبيب جرجس يكون معي نوتة في جيبي لا بد أن آخذ منه جملة أو جملتين أكتبهم في النوتة لكي يكونوا من المبادئ الراســـخة التي تكون عندي في حياتي، فليس من المعقول أن أجلس مع هذا الرجل دون أن أخرج منه بكلمة منفعة أكتبها في النوتة الخاصة بي.

كان طيبًا جدًا لدرجة أني أحيانًا عندما كنت أرى هذه الطيبة الجبارة التي له وتلك والوداعة العجيبة كنت أجلس لنفسي وأقول: "إذا كان يوجد في البشر أناس عندهم هذه الطيبة والوداعة فكم بالأولى ربنا كيف تكون طيبته ووداعته كم مقدارها؟!"، **فكنت آخذ فكرةً عن الله من طباع هذا الإنســـان الذي كان على صورة الله ومثاله.**

متاعب حبيب جرجس في الخدمة..

قاسَـــى كثيرًا من أجل التعليم ومن أجل الإكليريكية، وكثيرًا ما تعب واحتمل في صمت، ولذلك أتذكر القصيدة التي كتبتها عنه وألقيتها في حفل الأربعين سنة١٩٥١م منذ حوالي ثمان وعشرين عامًا أولها:

هــذه تقواك إيمــان فحــب هذه دُنياك أشــواك وصــلبُ

لأنه حمل الصليب والشوك في حياته، لكن كان إنسانًا لا يذكر أحدًا بكلمة سـيئة إطلاقًا، ولذلك في القصـيدة نقول عنه: ولسـانٌ أبيضُ الألفاظ عفُ، يَعني لسـان ألفاظه بيضـاء، لم نسـمعه إطلاقًا ينتقد أحدًا أو يشـتم أحدًا ولا يتكلم كلمة قاسية ولا كلمة متعبة.

كان قلبًا محبًا عطوفًا طيبًا رفيقًا بالناس، وكنا نحن نحبو على صدره الواسع الكبير كأولاد صغار لهذا الأب، هذا الإنسان لم يكن كاهنًا لكنه كان بالنسبة لنا أب، وكان كثير من أولاده قسوس وأساقفة ومطارنة – من الذين تخرجوا أيضًا من الكلية الإكليريكية – **وظل كما هو الأرشيدياكون حبيب جرجس.**

عاصـر البابا كيرلس الخامس وكان شـماسـه، ويرسـم معه وهو شـماس بالملابس الكهنوتية، كما عاصـر البابا يوأنس التاسـع عشـر، والبابا يوسـاب الثاني، والبابا مكاريوس الثالث قبل البابا يوســاب الثاني، أي أنه عاصــر أربعة من الآباء البطاركة.

وما تزال كتبه موجودة في المكتبات مملؤة بالمعرفة والعلم. وعاش بتولًا لم يتزوج وأخيه وأخته أيضًـــا كانوا بتوليين، البيت كله لم يتزوج منهم أحد. عاشوا لله وتفرغوا للخدمة الدينية. وأخيرًا نتيجة المتاعب الكثيرة أصيب بشلل ورقد على فراشـه، وصـعدت روحه إلى الرب في عيد العذراء عام ١٩٥١م، نطلب من الرب بركة صلواته، وأن ينيح الرب نفسه في فردوس النعيم.

أستاذنا الكبير[٧]

لمسة وفاء؛ فضل حبيب جرجس علينا.

أستاذنا الكبير الأرشيدياكون حبيب جرجس الذين ندين له جميعًا بالفضل، ولولاه ما كنا الآن جلوسًا في هذا المكان (الإكليريكية) وما كان لنا معرفة أو علم. إن اجتماعنا هذا هو نوع من الوفاء لمعلمينا وأساتذتنا وآبائنا الروحيين. لأنه ربما الكثيرين منكم ولدوا بعد نياحة حبيب جرجس، والكثير منكم الذين في سن الأربعين لم يروا حبيب جرجس. لذلك هذا الاجتماع هو نوع من الوفاء لهذا المعلم الكبير.

كل مدرسي مدارس الأحد الموجودين، لولا حبيب جرجس لم تكن مدارس الأحد، وكل الموجودين من الإكليريكيين لولا حبيب جرجس لم يكونوا هم. لا نستطيع أن ننكر فضل هذا الرجل في كل المجالات التي عمل فيها. لذا بدأ الإخوة في قسم الاجتماع في عمل متحف للأستاذ حبيب جرجس وأحضروا الأشياء الباقية من أيامه، حتى عصاه وشمسيته وختمه ونظارته، كل الأشياء التي استطاعوا أن يحضروها سوف تخصص لها حجرة خاصة بها.

[٧] من ثلاث محاضرات لقداسة البابا شنوده الثالث عن "الأشيدياكون حبيب جرجس"، بتاريخ ١٩٨٦/٨/٢٠م (بمناسبة مرور ٣٥ سنة على نياحة حبيب جرجس)، ١٩٩٠/٨/٢٢م، ٨/٢١/ ١٩٩١م

يقول الكتاب: "اُذْكُرُوا مُرْشِـــدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِـيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ" (عب١٣: ٧) فنحن أول مرشـد لنا في هذا الجيل باعتراف الكل هو حبيب جرجس. نذكره بكل حب، وأتذكر يوم تذكار الأربعين له أني ألقيت قصيدة عنوانها (وأب أنت)

وأبٌ أنــتَ ونــحــن يــا أبــي عشـنا بالحب على صـدرك نحبو

هذه القصـيدة موجودة في كتاب انطلاق الروح، قلتها بكل عاطفتي ومحبتي لهذا الرجل.

حبيب جرجس هو الأساس

ودائمًا الأســـاس يوضـــع في المبنى ولا يكون ظاهرًا، والناس لا ترى إلا الأدوار التي فوق، لكن لولا الأســـاس لم يكن أي دور من الأدوار التي هي فوق وظاهرة، لولا حبيب جرجس ما كنا قد عرفنا الدين؛ فهو الذي أســـس مدارس الأحد، تعلمنا العقيدة في الكلية الإكليريكية وهو الذي أســـس الإكليريكية. نحن ندين له بالفضل كرجل أسسنا، ووضع أساس التعليم في هذا الجيل تدريسًا ووعظًا وإرشادًا.

وكما اهتم بالإكليريكية اهتم بالعرفاء والمرتلين، فأســس أول مدرســة للعرفاء والمرتلين، ولأول مرة أدخل طريقة برايل (الكتابة على البارز) لكي يعرف الطلبة قراءة الإنجيل والألحان والأجبية، وأتذكر أن **المعلم ميخائيل**؛ وهو

أستاذ الألحان في الكلية الإكليريكية، وكبير المرتلين في البطريركية لم يكن ينام قبل أن يقرأ الإنجيل وهو رجل ضرير، وكان يقرأ ويستفيد ويفرح كثيرًا بذلك. كل هذا من فضل حبيب جرجس.

سمات حبيب جرجس

١- الشعور بالمسئولية والعمل الإيجابي في حياته.

المهم في حبيب جرجس صفتين مهمتين في حياته، وهما الشعور بالمسئولية والعمل الإيجابي في الحياة؛ وهذا درس روحي نأخذه من هذه الشخصية. عندما التحق حبيب جرجس بالإكليريكية لم يكن هناك مدرس دين، وكان يوسف بك منقريوس هو مدير المدرسة، وكان من رجال العلم فكان يمكنه تدريس اللغة إنجليزية أو التاريخ أو الجغرافيا، والأستاذ كامل ميخائيل عبد السيد كان يدَرس جغرافيا أو تاريخ، وإقلاديوس لبيب يدَرس لغة قبطية. ولم يكن هناك مدرس للدين على الإطلاق.

وعندما اختاروا حبيب جرجس وهو طالب في الكلية في السنة الرابعة لكي يُدرس الدين، لم يقل: ما هذه الإكليريكية التي لا تدرس الدين؟! كيف أضيع وقتي! وإنما دخل **الإكليريكية على اعتبار أنها القناة الشرعية للعلوم الكنسية**، ولم ينتقد الوضع القائم إنما شعر بالمسئولية، وبدأ العمل الإيجابي، أن يدرس ويعمل ثم تخرج من الكلية عام ١٨٩٨م، وأصبح أول

مدرس للاهوت في الكلية الإكليريكية ثم صـــار معلم الدين عمومًا، وبدأ اللاهوت يتفرع حتى كثرت فروعه في الكلية الإكليريكة.

الرجل لم ينتقد الوضــع إنما اشــتغل في العمل الإيجابي بكل قوة شــاعرًا بالمسـئولية. عاش في وسـط مظلم فلم يعتذر بضـعف هذا العصـر. هناك من يقول الدنيا خربة لا يوجد إكليريكية، لا يوجد مدرسين، لا يوجد وعّاظ لا يوجد معلمين ولا يوجد ولا يوجد.. فهل يعتذر حبيب جرجس؟!! لا، إذا كانت لا توجد إكليريكية... نعمل إكليريكية، وإن لم يكن هناك تعليم ديني، نبدأ التعليم الديني، لا يوجد وعّاظ... نؤسس وعّاظ، لا يوجد تدريس دين في المدارس، نُدرس الدين في المدارس. إذا كان يوجد ضــعف في العصــر لا نذم هذا الضــعف، وإنما نبني ونشــتغل ونكوّن جيلًا جديدًا. هذه هي طريقة حبيب جرجس.

حبيب جرجس يحتاج إلى مؤلفات كثيرة لكي نوفيه حقه!!

٢- لم يعتمد إطلاقًا على وسط خارجي أو مساعدة خارجية.

أنتم (الإكليريكيون) عندما تلتحقوا بالكلية. تجدوا أســـاتذة كثيرين في علومٍ كثيرة. بينما الطالب (حبيب جرجس) عندما التحق بالإكليريكية لم يكن هناك أي شــيء نهائي، كانت كلها علوم مدنية، حتى ناظر المدرســة كان مدرس تاريخ مدني ولم يكن مدرس علوم دينية!!

حبيب جرجس قاد التعليم في جيله من الصــفر، لا أســتطيع أن أقول: أن

حبيب جرجس كان له مدرّس بالمعنى المفهوم، ربما تعلم من أبونا فيلوثاؤس إبراهيم قليلًا، لكنه كون مكتبة للكلية الإكليريكية وجلس بالمكتبة يقرأ ويفهم ويؤلف ويشتغل، هذه هي طريقته في التعلم. الإكليريكية لم تكن لها مكتبة. هو الذي أنشأها فعندما نقول إنه قرأ في المكتبة وكوَّن نفسه، فمن أين له هذا؟!

لقد كان يقرأ في البطريركية وابتدأ يبحث ويكوّن نفسه لكي يكوّن الآخرين من أجل ذلك كتبت في الكرازة آية الإنجيل: "آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ" (يو٤: ٣٨). هو الذي تعب ونحن دخلنا على تعبه.

٣- حبيب جرجس الأرثوذكسي وأقوال الآباء.

وجد أن التراتيل البروتستانتية سائدة فبدأ يؤلف تراتيل أرثوذكسية ووضع ٣ كتب في التراتيل. وكتب كثير من القصائد للكبار وللصغار. كان أرثوذكسيًا صميمًا؛ يذكرني في أرثوذكسيته في هذا المجال بالقديس مار أفرام السرياني؛ فقد عمل قصائد كثيرة صارت تراتيل عن عقائد الكنيسة. وألفَ أيضًا للأطفال الصغار ترانيم في كتاب اسمه (إنعاش الضمير في تراتيل الصغير).

كما ألف تراتيل على أشياء من الإبصلمودية. وقد ألف ٣ كتب باسم (الخلاصة الإيمانية)، وألف كتاب اسمه (مبادئ العقيدة الأرثوذكسية ٨

أجزاء). وكتب كتاب عن (أسرار الكنيسة السبعة)، وكتاب (صخرة الأرثوذكسية؛ في الرد على الطوائف الأخرى بروتستانت وكاثوليك).

وأول واحد في جيلنا هذا ترجم أقوال الآباء هو الأستاذ حبيب جرجس. أسس مجلة اسمها **مجلة الكرمة** ظلت حوالي ١٧ عام، وكانت أفضل مجلة في جيلها، مجلة علمية على أساس عميق، كان فيها جزء من ترجمة أقوال الآباء. أتذكر أنني في عام ١٩٤٨م على ما أظن كنت أتصفح مجلة الكرمة فوجدت أنها ترجمت أقوال الآباء الرسوليين تقريبًا كلهم ما عدا القديس هرماس وكتابه الراعي، فقلت للأستاذ حبيب جرجس: "أنا أترجم لك كتاب الراعي، فترجمته له من مجموعة "الآباء الرسوليين The Apostolic Fathers" إما عام ١٩٤٨م أو ١٩٤٩م. وقدمته له. وكان لديَّ في ذلك الوقت قلم أبانوس بالحبر الأخضر، وعندما رأه قال لي: "يا ابني الحبر الأخضر لا أستطيع أن أراه فنظري ضعيف في قراءته"!! ولا أعرف أين هذه الترجمة الآن لأنه تنيح بعد ذلك. لكنه ترجم أشياء كثيرة جدًا من أقوال الآباء الرسوليين، ونُشرت في المجلة ترجمة تفسير القديس كيرلس الكبير لإنجيل لوقا. ثم بعد أن جئت أنا كلفت أبونا مرقس داود أن يكمل ترجمة القديس كيرلس الكبير.

٤- وداعته ولطفه (أخلاق روحية مثالية).

كان يشجع الناس ولم يكن ينتقد أو يوبخ أو يقول كلمة صعبة أبدًا. أتذكر

القصيدة التي كتبتها عنه قلت فيها:

لـك أســـلوب نـقـي طـاهـر ولســـان أبيض الألفـاظ عف
لـم تـنـل بـالـذم مـخـلـوقًـا ولم تذكر السوء إذا ما حل وصف

لم يكن ينتقد أبدًا. ذات مرة أحد أعضـاء اللجنة العليا لمدارس الأحد أرسـل للأستاذ حبيب جرجس خطاب نقد كان شديد اللهجة، لدرجة أنه من الجائز ألا يحتمله أحد غير حبيب جرجس. فماذا كانت النتيجة؟ لم يغضـب إطلاقًا وإنما أرسل خطاب شكر إلى هذا الشاب. قال له: "أشكرك أنه كان عندك وقت تقرأ فيه بحثي، وأشـكرك على الملاحظات التي بعثتها لي" ما هذا؟ ما هذا الأدب!؟

حبيب جرجس كان شـــخص عجيب جدًا. أحيانًا كثيرة عندما كانت تحدث مشـكلة من شـخص. ونقول: فلان عمل وعمل، يقول هو: لماذا يا أولادي؟ لماذا يعمل ذلك؟ لا بأس إن شاء الله تصلح هذه الأمور، **كان مثال للوداعة والتواضع الشديد، مثال لروح الأبوة وللأخلاق الروحية المثالية.**

علم عن طريق الوعظ، وعن طريق التدريس، والتأليف، والصـــحافة، وعن طريق مدارس الأحد. وعلم أيضًـــا عن طريق قدوته الصـــالحة، تجلس معه تخرج بأكثر من درس. كثيرًا مـا انتقده أنـاس وهـاجموه وكـان يســـكت. خصـوصًـا عندما رشـحوه في مدارس الأحد ليكون مطرانًا، هاجمه الرهبان وقالوا كيف يصبح مطرانًا إنه سوف يضيّع الرهبنة؟! كيف يضيّع الرهبنة؟

والرهبنة دائمًا بعيدة عن الكهنوت! ابتدأوا يهاجموه. يرشـح بطريركًا يهاجموه أما الناس فكانوا يمدحوه.

ذات مرة أحد أولاده من خريجي الكلية الإكليريكية؛ كان يعظ وظل يشـتم كثيرًا في حبيب جرجس، وكان واعظ آخر في الكنيسـة زميل لهذا الواعظ قد قدم طلب علاوة كان في المجلس الملي وكان حبيب جرجس مسـئول لجنة الكنائس فقال للشـخص الذي قدم يطلب علاوة أنه من حقه أن يأخذ علاوة، ولكن له زميل في نفس الكنيسـة له نفس الأوضـاع فلا بد أن يأخذ علاوة مثله، تُرى من هذا الزميل الآخر؟ إنه الواعظ الذي ظل يشتم حبيب جرجس كثيرًا، فأعطى علاوة للزميل الثاني أيضًا لأن العدل يقتضي ذلك. لدرجة أن هذا الواعظ الذي شـتم حبيب جرجس ذهب إليه وبكى وقال له: "أنا أخطأت إليك ولم أكن أعرف أنك بهذا الشـكل"! كان (حبيب جرجس) إنسـان رقيق إلى أبعد الحدود. كان يشـتغل في العمل الإيجابي، ولم يرد إطلاقًا على أي نقد يوجه إليه سواء من أولاده أو غيرهم. لقد تعلمنا كثيرًا من أستاذنا حبيب جرجس... كان إنسان وديع وهادئ وطيب القلب جدًا إلى أبعد الحدود. كان يمثل التعليم الصـحيح، وكان يكتب في العقيدة دون أن يجرح في أحد على الإطلاق، بالطريقة الإيجابية البناءة.

٥- حبيب جرجس الرائد The Pioneer

هناك أناس يسـاهمون في كتابة التاريخ، ولكن هناك أقوى من ذلك: وهم

الناس الذين يصـنعون التاريخ؛ أي يصـنعون الأحداث التي يأتي المؤرخون ويسـجلونها في التاريخ، والأسـتاذ حبيب جرجس هو الذي صـنع تاريخنا أو على الأقل صـنع تاريخ النصـف الأول من القرن العشـرين. حبيب جرجس ينطبق عليه لقب في اللغة الإنجليزية يسـمى (Pioneer) وهي كلمة تعني الشـخص الذي يقود طريق، مثال الأنبا أنطونيوس؛ نسـتطيع أن نقول إن الأنبا أنطونيوس Pioneer هو الذي قاد الطريق في الرهبنة، حبيب جرجس Pioneer (رائد التعليم الديني)، فهو الذي قاد التعليم الديني في عصره.

٦- الزهد والتكريس الكامل.

كان رجل روحاني ولم يكن يحب الألقاب. كان أرشيدياكون، والكنيسة كانت مليئة بالمطارنة وفيها بطاركة، لقد عاصـر أربع بطاركة، يذكرني باسطفانوس، كان شماسًا وهناك رسل وأساقفة في أيامه، ولكن هو من كان له مركزه، المسألة ليست مسألة شغل مناصب، اللقب لا يصنعه والمنصب لا يصـنعه، لكن هو الذي يعطي اللقب قيمته ويجعل الناس يشـعرون به. نحن نضع اسطفانوس قبل الرسل وهو شماس، لكن عند ربنا اسطفانوس له أولوية، ليس مسألة شماس أو غيره.

حبيب جرجس نال رتبة أرشـيدياكون، وصـدقوني إن هذا الرجل لو أراد أن يصبح مطرانًا أو بطريركًا ما كان أسهل عليه أنه في نهاية السنة الدراسية يذهب للدير، ويترهب ثم يرجع مباشـرة ويرسـموه قسًـا ويرشّـحوه – هذا ما

حدث مع أبونا داود المقاري – لكن هذا الرجل كان زاهدًا في هذه الأمور، إنه ليس من أصحاب المناصب ولكنه من أصحاب العمل، يعمل طوال الوقت. كل مجال من المجالات يحتاج لعمل كان يعمل فيه، اشتغل في كل الميادين. وكان حبيب جرجس رجلًا بتولًا. وكان له أخًا وأختًا بتوليين مثله، الأسرة كلها بتوليين كرسوا حياتهم كلها لله. **أستطيع أن أقول إن الشماس المكرس بالمعنى المفهوم هو ما شاهدناه في حبيب جرجس، كان حبيب جرجس متفرغ للوعظ وللتعليم الديني.**

✝🕊✝🕊✝

غيرة حبيب جرجس[٨]

أمثلة من الغيرة

الأرشيدياكون حبيب جرجس: عاش في عصر مظلم، لم يكن فيه وعّاظ، ولا أساتذة لاهوت. وحتى الإيغومانوس فليوثاؤس إبراهيم الذي كان بقية نور في تلك الأيام، لم تساعده صحته على إكمال رسالته، وانتقل من عالمنا.

وكان حبيب جرجس أول طالب التحق بالإكليريكية الحديثة ١٨٩٣م. ولم يكن بها مدرسًا للدين! وفي غيرة عميقة شعر حبيب جرجس أن الإكليريكية هي مسئوليته. فبدأ يُدرس زملاءه وهو طالب. وتخرج ليتولى التدريس في الإكليريكية. وكان يقوم بتدريس اللاهوت والوعظ، ويضع الكتب الروحية. ووضع كتاب (أسرار الكنيسة السبعة) وكتاب (الصخرة الأرثوذكسية) وكتاب مار مرقس الرسول. وأخذ في إعداد مدرسين للدين، وكان مبنى الإكليريكية وقتذاك لا يصلح، فشعر حبيب جرجس أنها مسئوليته أن يبني لها مبنى.

وبكل غيرة بدأ يدعو لهذا الأمر، ويطوف البلاد يجمع تبرعات، حتى اشترى أرض مهمشة الواسعة وبنى مبنى الدراسة، ومبنى الداخلية، ومبنى معهد العرفاء، وأسس المكتبة، وبنى كنيسة العذراء التي كانت كنيسة لطلبة

[٨] من كتاب (الغيرة المقدسة) لقداسة البابا شنوده الثالث.

الإكليريكية في أيامه، قبل أن تفتح للشعب.

ولم تكن هناك في تلك الأيام مدارس للتربية الكنسية، فشعر حبيب أنها مسئوليته أن يهتم بإنشاء مدارس الأحد. وشجع الكثيرين على المساهمة في هذا المجال، وبكل حماس أخذ التعليم الديني يشق طريقه إلى الأطفال وإلى القرى. وصار هناك آلاف من المدرسين، وكان حبيب جرجس هو نائب رئيس اللجنة العليا لمدارس الأحد. أما رئيسها في أيامه فكان قداسة البابا يوأنس التاسع عشر.

ولم تكن هناك مناهج لتعليم الدين في المدارس، فشعر حبيب جرجس أنها مسئوليته الخاصة أن يضع كتبًا منهجية لكل مراحل التعليم. فوضع لذلك سلسلتين أحدهما (المبادئ المسيحية) والثانية (الكنز الأنفس)، ولم يترك التعليم الديني معوزًا شيئًا من المعلومات.

بل طبع أيضًا الصور اللازمة. وأصدر مجلة (الكرمة) التي استمرت ١٧ عام كمدرسة متنقلة من بيت إلى بيت، على مستوى رفيع وهي أول مجلة قدمت لنا ترجمة أقوال الآباء القديسين.

كل ذلك لم يكن واجبًا رسميًا ملقى على حبيب جرجس، بل هي غيرته التي دفعته في كل هذه المجالات. غيرته التي بدأت معه وهو طالب، ثم وهو مدرس، ثم وهو ناظر للإكليريكية منذ ١٩١٨م. وبهذه الغيرة استطاع أن يقدم للكنيسة آلافًا من الوعّاظ ومعلمي الدين، ومئات من الخريجين لسيامتهم

كهنة في كافة بلاد القطر.

غيرة حبيب جرجس كانت غيرة تمثل العمل الإيجابي في عمقه. لم يحدث إطلاقًا أنه انتقد الضعف والضياع الموجودين في عصره، وإنما كان إن وجد نقصًا يبحث كيف يعالجه، دون أن يدين أحدًا. لقد كان رجل بناء ماهرًا. حفر أساسًا ووضع حجرين لبُنائين: **أحدهما هو الإكليريكية والثاني هو مدارس الأحد. وجاهد حتى ارتفع البناءان، وآوى إليهما أولاد الله.**

هذه هي غيرة حبيب جرجس، البناءة، الفعَّالة، الإيجابية.

✝🕊✝🕊✝

الأرشيدياكون حبيب جرجس والإكليريكية[٩]

أحسب نفسي سعيدًا أن أقف بينكم هذه الليلة أنا الصغير غير المستحق لشيء من محبتكم جميعًا. أقف لأكلمكم عن الإكليريكية التي كان لها فضل كبير عليَّ في تكويني وفي تعليمي وفي تنشئتي.

أذكر أول ما أذكر كلمة قالها المرحوم الطيب الذكر بطرس باشا غالي قال: "اهتموا بالإكليريكية فلن تجدوا لها بديلًا على الإطلاق". هذه الإكليريكية بدأت ببدء الكرازة في مصر وكانت مصدر النور والقوة للكنيسة القبطية.

المدرسة الإسكندرية الأولى التي وقفت ضد اليهودية وضد الفلسفات وضد الوثنية عمومًا، وضد محاربات الرومان وصمدت، تعطي من علمها ومن روحها للناس. ليست هذه الإكليريكية الأولى هي التي أريد أن أتكلم عنها اليوم. وإنما أقول إنه بعد عهد ديديموس الضرير في أواخر القرن الرابع الميلادي لم يظهر من أساتذة الإكليريكية غير أشخاص بسطاء مثل ريدون أو غيره.

وظهر القرن الخامس وإذا بالإكليريكية قد وقفت حركتها أو ظهرت كذلك. ومر على ذلك أربعة عشر قرنًا من الزمان. في أثنائها جاهدت الكنيسة

[٩] كلمة الأنبا شنوده، في حفل يوم الإكليريكية والإكليريكيين، بمناسبة مرور ٧١ عامًا على تأسيس الإكليريكية، وذلك حينما كان أسقفًا للتعليم والمعاهد الدينية في ديسمبر ١٩٦٤م.

على قدر ما تستطيع.

ثم جاء على الكنيسة عصر كان عصرًا مظلمًا تمام الظلام، ناح كثيرون وبكوا على ضعف الكنيسة في ذلك الزمان ولكن هؤلاء النائحين لم ينفع نوحهم شيئًا. هناك آخرون نادوا بالإصلاح. لم يكونوا نائحين وإنما كانوا شتامين ظلوا يشتمون ويسبون في الأوضاع الخاطئة ما عنَّ لهم ذلك وشتيمتهم وسبّهم لم يُجدِ الكنيسة شيئًا. ظهرت جماعة أخرى من المتشاجرين كان بينهم وبين الإكليروس عراك طويل ولم يُجدِ عراكهم شيئًا.

ولكن طائفة أخرى ظهرت في هذا الحين كان لها الأثر الفعال في حياة الكنيسة جميعًا. لم تكن طائفة النائحين ولا طائفة الشتامين ولا طائفة المتشاجرين وإنما كانت **طائفة البنائين**. وهنا ظهر الأستاذ حبيب جرجس.

رجل البناء العظيم

حبيب جرجس رجل البناء العظيم أستاذنا جميعًا، أمسك بيديه حجرين كريمين وحفر أساسًا ووضع الحجرين: كان أحدهما هو الإكليريكية وكان الثاني هو مدارس الأحد. وضع حبيب أمامه ذلك المثل الروحي الجميل الذي يقول: بدلًا من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة. وضع الحجرين الأساسيين وظل يبني في صمت وفي هدوء وفي احتمال. ونمت الإكليريكية، ونمت مدارس الأحد حتى آتت كل منهما ثمرها في حينه

واجتنينا نحن هذا الثمر. آخرون تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم.

لم يكن في الكنيســـة واعظ واحد في ذلك الحين، كان هناك رجل واحد يعظ في الكنيســـة من طولها إلى عرضـــها. رجل واحد فريد هو المتنيح الطيب الذكر الرجل العظيم الإيغومانوس فيلوثاؤس إبراهيم. لم يكن هناك وعّاظ. كانت الطوائف الكثيرة قد بنت بناءها على أساس الكنيسة القبطية.

أتى كثيرون إلى مصر ليبشروا باسم المسيح، وكان تقريبًا كل ما فعلوه أنهم لم يعطوا اسم المسيح لأشخاص لا يعرفونه بل أخذوا من جسم الكنيسة القبطية وضمّوا إلى أحضانهم. وظلت الكنيسة تتضاءل على حساب نمو هؤلاء. لم يكن هناك واعظ أو معلم أو مؤلف إلا القليل.

حبيب جرجس والإكليريكية

كان الظلام ينشر لواءه في كل مكان. ثم بُذلت محاولات سنة ١٨٩٣م لبناء الإكليريكية.

«ثم شرح نيافته كيف بدأت الإكليريكية الأولى باثني عشر طالبًا، لم يستمر منهم إلا حبيب جرجس الذي صـــار ناظرًا للإكليريكية فيما بعد، وإســـحاق جرجس الذي صـار واعظًا في أبنوب الحمام. وكيف أن الطلبة الذين جاءوا ليتخصصوا في الدين لم يجدوا بالمدرسة مدرسًا للدين. وأخيرًا اختاروا حبيب جرجس وهو طالب في السنة النهائية ليتولى تدريس الدين فأبلى بلاء حسنًا،

وصـــار أســتاذًا للاهوت والدين، وســـار من إيبارشـــية إلى إيبارشـــية أثناء الصـــيف يكرز ويبشـــر برســـالة الملكوت، لا يتحدث عن أخطاء الناس ولا مشاكل الكنيسة ولا المتاعب التي توجد هنا وهناك وإنما النور الذي يضـيء كل مكان تغشـــاه الظلمة. وظل يجاهد حتى صـــار له تلاميذ كثيرون وبدأ الوعظ ينتشر في كل بلاد القطر».

ومضـــى نيافته يقول: "هذه هي الإكليريكية في مدى واحد وســـبعين عامًا بدأت بســيطة لم يكن لها مســكن مثل هذا البناء الكبير الضـــخم ومثل تلك الأبنية الكبيرة المحيطة. كانت في بيت ضـئيل في حي الفجالة ثم نقلت إلى البطريركية، ثم ذهبت إلى مهمشـــة ثم أعيدت إلى البطريركية ثم رجعت مرة أخرى إلى مهمشة ثم جاءت إلى أنبا رويس.

ظلت تنتقل من مكن إلى آخر لا تجد أين تضـــع رأســها حتى اســتقرت في هذا المكان.

لم تكن لها ميزانية فظل حبيب جرجس يطوف البلاد من شـــرقها إلى غربها يطلب معونة من الناس ويطلب تبرعات حتى بنى الإكليريكية من مجهوده الخاص وما جمعه من تبرعات وبنى إلى جوارها مشـــروعات كنســـية كثيرة مثل مدرسة الأقباط الصناعية، ومثل ٣٦٥ فدانًا اشتراها من تبرعاته.

رجلٌ واحد عمل عملًا كبيرًا نقف نحن لكي نجني من ثمار هذا العمل...

لم يكن في الإكليريكية مدرســـون فأعد المدرســـين. لم يكن في الإكليريكية

داخلية كان كل ما عندهم عبارة عن غرفتين فقط يزدحم فيهما جميع التلاميذ".

كلنا أولاد حبيب جرجس

وظل حبيب جرجس نورًا للكنيسة المرقسية جمعاء وبعد أن آوى إلى ربّه مستريحًا ظل نوره يضيء حتى هذا الزمان ونحن جميعًا نسير على خطاه نسترشد بنوره العظيم ونقول: "كلنا أولاد حبيب جرجس". لا أستطيع أن أقف اليوم بدون أن أذكر هذا الرجل.

كان رجلًا قويًا في روحه. كان طاقة روحية جبارة. كنت أعتاد كلما ذهبت إلى زيارته أن آخذ في جيبي مفكرة بسيطة، وفي كل زيارة أحصل على جملتين أو ثلاث جمل من العبارات الخالدة أسجلها منفعة لنفسي وبنيانًا لحياتي الروحية. كنت أجد فيه الوداعة مرتسمة، والقوة الروحية والتسامح كنت أجده مثاليًا.

«ثم ذكر نيافته أسماء بعض الأساتذة الكبار الذين خرجتهم الإكليريكية في مدى الواحد والسبعين عامًا، والذين كانوا نورًا للكنيسة أمثال الرجل اللاهوتي العظيم المرحوم سمعان سيليدس، والرجل الطقسي الكبير المرحوم يسى عبد المسيح، والعالمان الكبيران في اللغة القبطية إقلاديوس لبيب، والقمص تادرس تاوضروس، والملحن الموسيقي الرائع في سمع الكنيسة العلامة

الكبير المعلم ميخائيل جرجس.

ومضى نيافته يذكر بعض الأحياء منهم أمثال الأب الفاضل والعالم الكبير القمص إبراهيم عطية صاحب العقلية الوقادة وحسن الإدراك للعلوم اللاهوتية، وأستاذ الكتاب المقدس القمص ميخائيل متى. والقمص باخوميوس المحرقي الذي درس نيافته الكثير على يديه. والرجل الذي يرن اسمه في الصعيد وهو القمص عبد المسيح ثاؤفيلس».

ثم مضى نيافته يقول:

غير أن الإكليريكية ليست مجرد مصدر للعلم. الإكليريكية عبارة عن روح يودعها أساتذة في قلوب تلاميذهم. ليست الإكليريكية أبنية أو مؤسسات وإنما هي أستاذ مملوء من روح مقترن بالمعرفة والقدوة الصالحة. لذلك كان حرصنا كبيرًا على الأساتذة الذين يعملون فيها وكذلك أصبح هدفنا أن نهتم بالتلاميذ في حياتهم الروحية كما نهتم بهم في دراساتهم.

فنحن نهتم بالتلميذ في صلاته، في اعترافه، في تناوله، في قدوته الصالحة، في سلوكه، حتى نخرجه شخصًا ممتازًا للكنيسة والذي لا يصلح نخرجه من الإكليريكية قبل أن يتخرج فيها حتى نضمن إذا تخرج إن شاء الله أن يكون شخصًا صالحًا ينفع للخدمة وينفع للتعليم ولذلك نحن نشدد كثيرًا في اختبار الدخول.

ثم ذكر نيافته أن السنة الأولى كلها تعتبر سنة اختبارية للطالب وأنه من

السهل أن يُفصل الطالب وبينه وبين بكالوريوس الكلية ساعات معدودات إذا ظهر أنه غير صالح للخدمة الدينية».

ومضى نيافته يقول:

"هذه هي الكلية الإكليريكية التي أرجو من الجميع أن يشجعها بكل ما أوتي من قوة.

كثيرون يخطئون التفكير ويقولون عندما تصل الإكليريكية إلى أعلى مستوى نطلبه لها عند ذلك نلتحق بها ونشجعها، كلا... شجعوها الآن لتصل إلى هذا المستوى العالي الذي تريدونه.

عندما دخلت إلى الإكليريكية كانت أقل منها حاليًا وعندما تخرجت منها كانت أفضل حالًا، وكنت أشعر أن كل عام يمر على الإكليريكية تخطو فيه خطوة إلى الأمام وتسير قدمًا نحو الهدف الذي نريده لها.

نحن لم نصل للكمال، لنا أخطاء كثيرة، لنا سقطات كثيرة، لنا ضعفات كثيرة ولكن لنا نيات صالحة من جهة الله نرجو أن تنمو بصلواتكم وأن يعطيها الله قوة لكي تُنفَّذ فشجعوا الإكليريكية في كل حال في ضعفها لكي تخرج من ضعفها وفي قوتها لكي تزداد قوة على قوة.

أنا أشكر آبائي الأساقفة الأجلاء على تشجيعهم للكلية الإكليريكية، أشكرهم من كل قلبي وأطلب أن يستمروا في هذا التشجيع للطلبة لأنه إن شعر

الطلبة أن لا مستقبل لهم من بعد التخرج لا يُقبلون على الكلية وبالتالي نفقد هذه الفائدة الكبيرة التي يتثقف بها الطلاب.

أنا لا أطلب جاهدًا أن يُرسم الإكليريكيون، أريد الإكليريكية أن تكون عروسًا جميلة يشـــتهيها كل من يراها وطلابها يتهافت عليهم الناس، فإذا وصـــل الطلبة إلى درجاتهم العليا وإلى مثاليتهم التي نرجوها، ســـيتلقّفهم الآباء الأساقفة من كل مكان ويبحثون عنهم فلا يجدونهم.

عملنا هو أن نُخرِج أشخاصًا صالحين. وليس عملنا أن نرغم الناس على رسامتهم، وإنما إذا خرجوا صالحين ستكون لهم رائحة ذكية تملأ الأرجاء يشـــمها الناس من بعيد، فيبحثون عنهم ويطلبونهم ويجاهدون في العثور عليهم. لذلك لا نخلي أنفسنا من المسئولية. أنا أكون سعيدًا بكل الملاحظات القيّمة والاقتراحات الجميلة التي يقترحها علينا آباؤنا المطارنة والأساقفة.

وقد ســـعدت اليوم ببعض توجيهات قوية حكيمة قالها لي صـــاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا أبرام أســـقف الفيوم، وأعده أمامكم بتنفيذها على قدر ما أوتيت من قوة بصلاته.

أيضًـا كل ملاحظة تصـلني أحاول على قدر إمكاني أن أنفذها. اقترح عليَّ اقتراحًا جميلًا صـاحب النيافة الأنبا مكسـيموس أسـقف القليوبية أن نعمل شـهادة جميلة لكل مَن يرسـم أغنسـطس في الكنيسـة، ثم لكل من يرسـم إيبودياكون، ثم لكل من يرسـم دياكون، وكل من يرسـم قسـيسًـا فيما بعد،

والإخوة الذين رسموا أغنسطسين سيأخذون شهادات جميلة يحتفظون بها تذكارًا لرسامتهم، وأيضًا كل من سيرسمون فيما بعد في رتب أخرى. ونرجو أيضًا أن نتمتع بخبرة نيافة الأنبا مكسيموس في اللغة القبطية فيأتينا في الاختبارات الشفوية للغة القبطية – إن أعطاه الرب وقتًا – وأطلب منه هذا أمامكم وأرجو أن يعطيه الرب وقتًا.

كذلك لا أنسى التشجيع الكبير الذي لقيته الإكليريكية من صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا دوماديوس أسقف الجيزة، أول دفعة من الخريجين أقام لها الأنبا دوماديوس حفلة عنده وقال لهم: "الجيزة هي بيتكم تأتون إليها في أي وقت واعتبروا أنها جزء من الإكليريكية".

أنا أشكر التشجيعات الكبيرة التي تصل إلينا من الناس، وأشكر أيضًا الأشخاص الذين ساهموا في الخدمة القروية، الطلبة الإكليريكيون يتمرنون على خدمة عملية قروية كل أسبوع، وفي الأحياء الفقيرة المحيطة بالقاهرة وبالجيزة وبالقليوبية يعملون الآن في أكثر من خمسين قرية، ويُعلّمون آلاف الأولاد واجتماعات كثيرة للشعب رجالًا وسيدات ومدارس أحد، حتى أنه يوجد فرع واحد يخدمون فيه ثلاثة أيام في الأسبوع، هذه الخدمة يتبرع لها الكثيرون من أفراد الشعب وكان صاحب الفضل الأول فيها جناب الأب المحبوب القمص شنوده السرياني عافاه الله". أخيرًا أترك المجال لمن هم أقدر مني على الكلام... ولله المجد دائمًا أبديًا آمين.

في طريق الأرض كلها[١٠]

"أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً" (١مل٢: ٢).

كانت الساعة الخامسة إلا ربعًا حين دخل ذلك المدرس الشاب بيت أستاذهُ الكبير يعوده في مرضه، ولكن الصمت الرهيب والوجوه الشاحبة والعيون القلقة، كل ذلك أشعره بأن في الأمر شيئًا، وأدرك ذلك الشيء فوقع على مقعد من مقاعد حجرة الاستقبال واعتمد رأسه بين كفيه، وانخرط في بكاء مُر.

عرف أنه وصل متأخرًا، إذ أن أستاذه المحبوب كان قد انتقل إلى جوار القديسين منذ ربع ساعة.

وتأمل الشاب المسكين نفسه على هذا المقعد، كان يجلس منذ أيام، ولم يكن يؤلمه إلا سماعه آهات أستاذه المريض الراقد في الحجرة المجاورة، أما الآن فلا يؤلمه شيء سوى عدم سماعه لتلك الآهات. إن الغرفة المجاورة ملتحفة بصمت مهيب ولأول مرة يكره هذا الشاب الصمت.

ودخل أخ المنتقل الكريم وربت على كتف الشاب وقال له في ألم عميق: "فلنشجع بعضنا بعضًا، شجعني وأنا أشجعك. وكان طلبًا مستحيلًا لكليهما".

[١٠] مقال بقلم أ. نظير جيد، نشر في مجلة مدارس الأحد، بتاريخ سبتمبر ١٩٥١م

وبدأ الخبر ينتقل ببطء وفي حدود ضـــيقة، ومع ذلك امتلأ البيت بشـــباب مدارس الأحد، كانوا يعرفون أنهم هم أســـرة المنتقل الحبيب، الذي كان لهم أبًا حنونًا ومرشدًا ونصوحًا، وكانوا له أبناء.

لقد عاش الأرشيدياكون حبيب جرجس بتولًا، ومع ذلك كان له مئات الآلاف من الأبنـاء، يـدينون بمبـادئـه، ويعجبون بروحـه، ويحبون فيـه كل شـــيء ويسكنون في قلبه الكبير الذي اتسع لهم جميعًا ولغيرهم من الناس.

وفي نفس المســـاء أرســـلنا برقية بالخبر الأليم إلى غبطة البطريرك في الإسكندرية. فقد كان هناك احتمال أن يحضـر غبطته ليصـلي بنفسـه على رئيس شـــمامســـة الكرازة، ومســـتشـــار من ثلاثة بطاركتها، ومدير كليتها اللاهوتية، وأســـتاذ غالبية آبائها وكهنتها، ورائد مدارس الأحد فيها وزعيم نهضتها التعليمية.

وذهبنا في الصـباح إلى الكنيسـة المرقسـية الكبرى للاتفاق على الجناز فقال لنا القمص بولس شـنوده رئيس الكنيسـة: "**إن الأرشـيدياكون حبيب جرجس هو أبونا كلنا ومعلمنا الصـالح، وسـوف لا نكون أقل منكم اهتمامًا بالأمر، سيكون كل شيء معد بإذن الله على أكمل وجه**".

وتوجهنا إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف العزباوية ودير السريان لنكلمه نيابة عن الآباء المطارنة فقال لنا نيافته: "اليوم هو عيد العذراء وقد صـعدت روح الأرشـيدياكون حبيب جرجس مع روح السـيدة العذراء. لقد كان يحب القديس

الأنبا كيرلس، والأنبا كيرلس تنيح هو أيضًا في صوم العذراء، وكثير من القديسين تنيحوا كذلك في هذا الصوم".

ثم بدأ الأنبا ثاؤفيلس يتحدث عن جهود الأرشيدياكون حبيب جرجس في الوعظ والتعليم والإكليريكية. وكان حاضرًا رجل فقير مسن فقال في حزن: "يا خسارة، يا ألف خسارة حبيب بك ده كان صديقي، وكان دائمًا يعطف عليَّ". ولم يكتف الرجل بهذا وإنما ذهب إلى بيت صديقه واستمر هناك طول النهار وألح في رؤية الجثة الطاهرة، وسار وراء الجناز، واشترك مع الشبان في حمل الصندوق كان أستاذنا حبيبًا للجميع وقد رأيت في بيته الرجال على اختلاف أعمارهم ومراكزهم الاجتماعية يبكون في حرقة كالأطفال.

وفي الساعة الرابعة والنصف تحركت العربة السوداء من محطة كوبري الليمون في طريقها إلى الكنيسة الكبرى. وكان يسير أمامها نيافة مطران الكنيسة السريانية والأنبا ثاؤفيلس، والأنبا يوأنس مطران الخرطوم، وجمهرة من الآباء الكهنة، وممثلوا اللجنة العليا لمدارس الأحد وصفوف طويلة من طلبة مدارس الأحد من التعليم الجامعي، والثانوي، والفني، والابتدائي يحملون أكاليل الورود. أما خلف العربة فقد كانت تسير صفوف عديدة ممتدة من الأبناء والمحبين والمعجبين.

كان واضحًا للجميع أن هذه جنازة رجل عظيم، له في القلوب تقدير

وتقديس. **وكان الجناز مهيبًا خاشعًا منظمًا.**

وعندما وصـــلت العربة إلى الكنيســـة تهافت الشـــباب على التبرك بحمل الصندوق وتقدموا به إلى الداخل، وامتلأت كل مقاعد الكاتدرائية الكبرى رغم اتساعها المعروف وبقيَ كثيرون واقفين وبدأت الصلاة، واشترك فيها أيضًا نيافة الأنبا كيرلس مطران قنا، والأنبا يوأنس مطران الجيزة، والأنبا بنيامين أسقف المنوفية.

ثم تكلم القمص بولس شـنوده فقال: "لقد كان الأرشـيدياكون حبيب جرجس معلمًا ومرشدًا للمرشدين، وواعظًا للواعظين، أحيّ فيه خمسة وخمسين سنة في خدمة الكنيســة، في الإكليريكية والوعظ ومدارس الأحد. ثم أضــاف لقد خسر سيدنا البطريرك بانتقاله خادمًا عاملًا ومستشارًا أمينًا".

وقال القمص جرجس إبراهيم: "**رغم أن الأســـتاذ حبيب جرجس كان رئيس شـــمامســـة إلا أننا نحن الكهنة جميعًا ندرك أننا أبناء له.** وكذلك الآباء المطارنة يرون فيه مرشدًا ومستشارًا أمينًا".

وتكلم عنه الأناغنوستيس وهيب عطالله، كعقل كبير وقلب كبير ورجل إيمان ورجاء، وتكلم عن محبته للجميع وقلمه العف النزيه الذي لم يتناول أحدًا بســـوء في يوم من الأيام، وقال: "ما من أحد قاومه إلا ورجع نادمًا على مقاومته له".

ووقف نيافة الأنبا كيرلس مطران قنا وقال: "إننا مهما تكلمنا عن

الأرشـــيدياكون حبيب جرجس فلن نســـتطيع أن نوفيه حقه. إنه أحق من الكبراء الذين تقام لهم التماثيل بينما لم يخدموا خدمة مثله".

ويعوزني الوقت إن ذكرت لك يا أخي القارئ العزيز كل شيء، فقد استمرت الصـــلوات والكلمات أكثر من ســـاعتين رغم الحر الشـــديد وكان كثيرون غارقين في الدموع.

وتهافت الشـــباب على حمل النعش وطافوا به مرتلين حول المذبح، وكان كثيرون يلمســونه للتبرك. ثم حملتنا عربة إلى المدافن، ورقد الأرشــيدياكون حبيب جرجس بعد أن حول التاريخ القبطي في مجرى جديد.

وبعد انفضـــاض الســـرادق رجعنا إلى بيته نعزي أخته وقال لها أحدنا: "لا تحزني، فالأســـتاذ حبيب في الســـماء". فأجابت: "نعم، أنا متأكدة أنه في السـماء. إن أجسـام الموتى تكون عادة جامدة صـلبة أما جسـمه فكان لينًا طريًا كالخس تحركه في أي وضع تشاء".. **كان رجلًا قديسًا.**

قال عنه هؤلاء [11]

لسنا نستطيع أن نورد كل ما قاله الناس عن أستاذنا العظيم ولكننا سنكتفي بآراء الآباء البطاركة، والمطارنة والأساقفة، وحضرات الأراخنة، وممثلي الصحف وبعض أصدقاء الراحل الكريم، مقسمين ما قاله هؤلاء جميعًا تحت عناوين: في الوثائق والرسائل، في حفلة الإكليريكية سنة ١٩٣٨م. في برقيات التعزية في النعي، وفي الجرائد والصحف.

* * *

في الرسائل والوثائق

خطاب البابا كيرلس بتعيينه ناظر الإكليريكية

جناب الابن المبارك الأرشيدياكون حبيب جرجس مدرس علم اللاهوت بالمدرسة الإكليريكية باركه الله تعالى...

بعد منحكم البركات وصالح الدعوات. إنه نظرًا لوفاة المرحوم الطيب الذكر يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية، ولما نعهده في بنوتكم من حسن السلوك والهمة والنشاط والكفاءة التامة ولثقتنا الأكيدة بغيرتكم الدينية

[11] مجلة مدارس الأحد، عدد نوفمبر وديسمبر ١٩٥١ م

وإخلاصكم لخير كنيستنا المحبوبة وخدمتكم المدة الطويلة أستاذًا بالمدرسة المذكورة، فلهذا قلدناكم نظارة هذه المدرسة مع تأدية الدروس اللاهوتية التي كنتم قائمين بها.

ونسأل الله تعالى أن يبارككم، ويؤيدكم بنعمته ويشملكم بعنايته وينجح أعمالكم. وسلام الرب يشملكم وله الشكر دائمًا...

كيرلس

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

١٤ سبتمبر سنة ١٩١٨م

* * *

قرار المجمع المقدس سنة ١٩٢٨م

انعقد المجمع المقدس برئاسة الأنبا يوأنس قائم مقام البطريرك وحضور أحد عشر مطرانًا، وأسقفًا ورؤساء الأديرة وقرروا رفض اقتراح المجلس الملي بتعيين قس بروستانتي للتدريس في الإكليريكية، وأرسلوا للأستاذ المدير الخطاب التالي:

حضرة الفاضل الابن المبارك الشماس حبيب أفندي جرجس، ناظر المدرسة الإكليريكية باركه الرب...

بعد منحكم البركات وإمدادكم بصـــالح الدعوات – بنعمته تعالى – تكونون بخير. وبما لنا ولجميع حضـــرات أصـــحاب النيافة وإخوتنا المطارنة والأساقفة، من الثقة التامة فيكم وفي غيرتكم على الكنيسة وما عُرفتم به من المحافظة على عقائدها وطقوســـها، خصـــوصًـــا ميولكم لتقدم المدرســـة الإكليريكية وجهودكم فيها، نرى أن تظلوا محافظين على هذه الثقة، وأن لا تتســاهلوا في أي تدخل أجنبي من الذين يخالفون عقائدنا الأرثوذكســية، في تدريس التعاليم الدينية بالمدرسة.

وثقوا أنه يهمنا جدًا أن تعملوا كل ما في وســعكم للنهوض بالمدرســة ورفع مســتواها العلمي حتى تضــارع الكليات اللاهوتية. واعلموا أننا نعضــدكم في هذا السبيل بكل قوانا.

يوأنس

مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية

قائم مقام بطريرك الأقباط الأرثوذكس

١٤ أكتوبر ١٩٢٨م

* * *

من تقارير أعضاء المجلس الملي

تقرير الأستاذ ميخائيل عياد المقدم إلى المجلس الملي ولجنة الكنائس:

وبمناسبة ذكر حضرة ناظر المدرسة، أقول بملء الارتياح: إن واجب الضمير والعدل، يقضي علينا أن نعترف بأن هذا التقدم الباهر الذي وصلت إليه المدرسة يجب أن يقرن باسم ناظر المدرسة الحالي حضرة الأستاذ حبيب أفندي جرجس، **فعليه فعلًا قامت دعائم رُقيّها، وبمجهوداته وصلت إلى ما هي عليه.. فهو ينهك قواه،** ويصرف كل همته إلى تقدمها. وإني أقدر موقفه حق التقدير وأعطف على رغباته كل العطف، وأعتقد أنه لو وجد تعضيدًا ونفذت كل مشروعاته لبلغت المدرسة ما نريده لها. ولذلك أرجو المجلس بإلحاح أن يعير طلباته الإصلاحية لهذه المدرسة ما تستحقه من العناية والالتفات. واقترح أن يقرر المجلس بإشارة اللجنة، إرسال خطاب شكر لحضرة الناظر الحالي.

ميخائيل عياد

عضو المجلس الملي العام ولجنة الكنيسة

٢٥ مايو ١٩٢٨م

* * *

تقرير الأستاذ إبراهيم تكلا المقدم إلى المجلس الملي ولجنة الكنائس.

زرت هذه المدرســـة منذ ١٢ ســـنة لما كنت مديرًا عامًا لمدارس الأقباط، وزرتها منذ ثلاثة أيام فوجدت أن هناك فارقًا كبيرًا من تحســـن في المباني، وإتســـاع في الأمكنة، وتقدم في العلوم مما يذكر لحضـــرة الناظر الحالي بالشكر للمجهود الذي يبذله في إعلاء شأن مدرسته.

إبراهيم تكلا

عضو المجلس الملي العام ولجنة الكنائس

٣١ مايو ١٩٢٨م

****

في حفلة الإكليريكية

أ – كلمات الآباء رعاة الكنيسة.

قال غبطة الأنبا يوأنس بابا الكرازة المرقســـية لخريجي الإكليريكية: أيها الأبناء المحبوبون الإكليروس والشـمامسـة وطلبة المدرسـة الإكليريكية التي أوجدها الله بيد الأسـتاذ حبيب جرجس المبارك. فإن خدمته للمدرسـة ظاهرة ومعروفة، وليس للمدرســـة الإكليريكية فقط بل خدمته للأمة القبطية كلها. فكلكم أولاد حبيب المحبوب الذي أحيا المدرسة ورقاها.

وقال نيافة الأنبا ثاؤفيلس مطران القدس والزقازيق والمحافظات: ويسعدني أن أعلن لحضراتكم ما يكنه قلب قداسة سيدنا البابا المعظم من الميول الطاهرة والرغبات الصالحة نحو هذه المدرسة، وطالما سمعنا من غبطته الكثير عن حضرة مديرها الهمام ألا وهو الابن المبارك الأرشيدياكون حبيب جرجس ابن المدرسة البكر. وما له من المكانة والإعزاز في قلب غبطته، وليس هذا فقط بل في قلوب حضرات إخوتي أصحاب النيافة المطارنة الأجلاء. فإني والحق يقال، من وقت أن كرست حياتي لخدمة كنيستي المحبوبة رأيت حضرته قوة عاملة، فبينما نراه في الكنيسة واعظًا، وبالمدرسة مدرسًا لإعداد خدام أمناء، نجده منكبًا في البيت على تصنيف المؤلفات النفيسة، والمواضيع الدسمة المليئة بكنوز الحكمة والمعرفة، التي تفيض بها مجلته الكرمة الغراء، التي أدّت للكنيسة أكبر الخدمات، **فكان يصول في كل ميدان مجاهدًا بقلمه ولسانه يخرج من كنزه جددًا وعتقاء. فأخرج للكنيسة جنودًا أفاضل يدافعون عن الحق.**

وبالإجمال إنه خدم الكنيسة بمؤلفاته في مختلف المواضيع الدينية، ولا سيما شرح عقائد الكنيسة. والكنيسة لا تنسي له هذه الخدمات وغبطة البابا الجليل يضعه في المنزلة الأولى، وكذلك حضرات إخوتي الأجلاء أصحاب النيافة المطارنة، خصوصًا لأمانته ونزاهته وغيرته التي عُرف بها. وقد بلغت الإكليريكية بجهوده وإخلاصه هذه المنزلة.

وقال نيافة الأنبا كيرلس مطران إثيوبيا: ولا ننسى الجهود الجبارة التي بذلها

حضـرة المربي الكبير الأسـتاذ الفاضـل حبيب جرجس مدير المدرسـة فهي جديرة بعظيم الاعتبار والتقدير.

وقال نيافة الأنبا مكاريوس مطران أســـيوط (البابا فيما بعد): وإنني بمزيد من الغبطة والســـرور أقدم تهنئتي لحضـــرتكم، إذ الفضـــل كله راجع إليكم لاهتمامكم المتوالي في تقدم تلك المدرســـة، ونتعشـــم في همتكم أنها قريبًا تضـارع المدرسـة العظمى التي أنشـأها في مدينة الإسكندرية الرسول العظيم القديس مار مرقس.

والأمل عظيم في همتكم وغيرتكم ورغبتكم واقتراحاتكم عنها. وإني أســـأل إلهي أن يبـارك فيكم وفي أعمـالكم، وهمتكم وتـدريبكم لهؤلاء الطلبـة، حتى يكونون في أكمل علم وتقوى، ولي ثقة في أمانتكم وإخلاصـــكم في العمل، وإنه قادر أن يتمم رغباتكم، سلام الرب معكم ونعمته وبركته تملأكم.

وقال نيافة الأنبا يوساب مطران جرجا (البابا الحالي)[١٢]: بل لماذا لا يشار إشـــارة خاصـــة لمن أضـــحى من خريجيها كالأقطاب البارزين وماثل في التـأليف كبـار اللاهوتيين. انظروا أيهـا المنصـــفون البـارون إلى خريج الإكليريكية النابه، وابن الكنيســـة الوفي الناشـــط، المتقدة أحشـــاؤه غيرة، والمضـطرمة جوارحه إخلاصًـا، أعني به رئيس الشـمامسـة التقي الأسـتاذ الديني الكبير حبيب أفندي جرجس، وتأملوا ما بذل ويبذل من راحة ومجهود

[١٢] وقت كتابة هذا المقال (١٩٥١م) كان الأنبا يوساب هو بابا الكنيسة القبطية في ذلك الحين.

ليس في الوعظ والتعليم فقط، بل وفي التصانيف والمؤلفات العقائدية والدينية العديدة التي ستبقى ما بقيت الكنيسة.

وقال نيافة الأنبا باسيليوس أسقف إسنا والأقصر: قبل أن تختارني نعمة الله أسقفًا قضيت بالمدرسة الإكليريكية ثلاثة أعوام طالبًا، لمست خلالها جهود الأستاذ المدير الجبارة، وحملاته الموفقة للنهوض بهذه المدرسة، وما دام عنوان الإكليريكية مديرها الأستاذ حبيب جرجس علم التضحية ورمز الوفاء، وما دامت المدرسة تستمد قوتها من رب الكرمة إله السماء، فستظل في نماء سائرة إلى الأمام غير ناظرة إلى الوراء.

ب – كلمات وكيل وأعضاء المجلس الملي العام.

قال سعادة يوسف باشا سليمان وكيل المجلس: لقد وهبنا المولى عز وجل رجلًا، ولا أريد أن أقول إلا ما يجب أن يقال عنه: وهبنا رجلًا قدَّس حياته لخدمة شعبه فضحى وأفنى عمره في هذه المدرسة، وهو الأستاذ حبيب أفندي جرجس، فهذا الرجل يجب علينا جميعًا أن نُجِلَّه في أعظم مكانة في قلوبنا.

وقال أيضًا: وأرى فرضًا عليَّ في هذا المقام أن أصارح الشعب القبطي بما يخالجني من الغبطة والسرور بما قام به مدير هذا المعهد العظيم، الأستاذ حبيب أفندي جرجس من الخدمات الجليلة، فقد كرس حياته، وضحى بصحته الغالية، وتفانى في خدمة هذا المعهد، من وقت أن أسندت إليه

مهامه حتى الآن، حتى ارتقى به إلى أسمى درجات الرقي والكمال.

وقال الأستاذ نبيه يوسف عضو المجلس: لا شك أننا ندهش دهشة الفرح عندما نرى مدرستنا اللاهوتية قد تبوأت مكانتها اللائقة بها، ولكننا ندهش أكثر فأكثر عندما نعلم أن كل هذه المجهودات الجبارة المقرونة بالتضحيات المتواصلة، التي كانت السبب الوحيد في تقدم المدرسة، بل التي عليها وحدها بُنيت المدرسة، قد قام بها شخص واحد هو الأستاذ العلامة حبيب أفندي جرجس مدير هذا المعهد، الذي وقف حياته لخدمة الكنيسة وكرّس ذاته لمجدها، فعمل وضحّى وتفانى وأخلص، وهو الآن يجني ثمار ما غرسته يداه.

وقال الأستاذ رزق بك ميخائيل عضو المجلس: وقد نجح المربي الكبير الأستاذ حبيب جرجس في القيام بهذه المهمة، وإن زيارة واحدة للمدرسة الإكليريكية التي يرأسها لتقنعك بأن جهوده قد تكللت بالنجاح، وأنها تبشر بمستقبل عظيم.

* * *

جـ – في النعي المنشور عنه في الجرائد.

طوال أسبوع وأكثر، وجريدة الأهرام تطلع على قرائها يوميًا بعمود كامل تقريبًا في نعي الأرشيدياكون حبيب جرجس. حتى تسائل غير المسيحيين من يكون هذا؟!

نعته البطريركية، والكلية الإكليريكية، واللجنة العليا لمدارس الأحد، ومجلة مدارس الأحد، ومجلة مار جرجس، وبيت مدارس الأحد وجمعيات القاهرة: (المحبة والسلام والخيرية الكبرى، وثمرة الإخلاص والإيمان، والقبطية للتربية، وجامعة المحبة، وأصدقاء الكتاب، وأبناء الكنيسة، والإيمان المركزية، وأبناء الكنيسة بالفيوم، ومجتمع السلام بالمنصورة، والشبيبة بالأقصر، والطلبة والشبان بسوهاج، وجنود المسيح بطهطا، ونهضة الكنائس بفيديمين، ونهضة كنيسة مار جرجس ببا، ونهضة الكنائس ببورسعيد، ورابطة الشباب بكفر داود، ومجلس ملي سوهاج).

ونعته غالبية فروع مدارس الأحد بالقطر وعدد كبير من القمامصة والقساوسة وكثير من أصدقائه وتلاميذه. **ولسنا بمستطيعين أن نورد كل ما قاله الجميع، فلنقتصر إذًا على الملاحظات الآتية:**

قالت عنه البطريركية: إنه رجل من خيرة رجال مصر علمًا وخلقًا.

وقالت اللجنة العليا لمدارس الأحد: "إنه أعظم رجل حمل أعباء المسئولية خمسة وخمسين عامًا". **وقالت مجلة مدارس الأحد:** "إنه أستاذ الجيل بلا منازع طهارة وعلمًا وحكمة". **وقال أساتذة وطلبة الإكليريكية:** "إنه أستاذهم الأكبر العَلاَّمة".

وبماذا وصفه الباقون في نعيهم؟

قالوا: إنه العَلاَّمة، واللاهوتي الضليع، معلم الكنيسة الأول، وقائد نهضتها

العلمية، معلم الجيل، والأســـتاذ الأكبر، وحجة الكنيســـة الأول، والمربي الفاضــل، والرائد المثالي. وقالوا: إنه أبونا كلنا، الرجل الحنون الطيب، الذي أحبنا جميعًا وأحببناه.

وقالوا عنه: القديس، والبار، والرجل النادر، والزاهد البتول، فقيد البتولية، رجل السلام والحكمة الهادئة. وقالوا: إنه راهب بلا دير وسط جيل فقد روح الرهبنة، وقالوا: إنه حبيب الله، حبيب المســيح، حبيب الشــعب، وقالوا: إنه رجل الكنيسة البار، وابن الكنيسة البار الأمين، ورجل الكنيسة العظيم، وبكر الكنيســة ومؤســس نهضــتها، ومعلم ومُنهض الكنيســة الأول، ورجل الجهاد والبر والعمل والتقوى والصلاح. **وماذا قالوا أيضًا؟**

قالوا: إنها خسارة، خسارة كبيرة، لا تعوض، ولا ينفع معها عزاء.

وأب أنت[١٣]

هـذه تقواك: إيمـانٌ فحـبُ ... هذه دنياك: أشـــواكٌ وصـــلبُ
أنتَ، مَن أنتَ؟ رســـولٌ ههنا؟ ... أنتَ أبهى من رسول، أنتَ قلبُ
أنتَ قلبٌ واســـعٌ في حضـــنهِ ... عاشَ جيلٌ كاملٌ أو عاش شعبٌ
أنـتَ نبعٌ من حنـان دافقٍ ... أنتَ عطفٌ أنتَ رفقٌ أنتَ حبُ
وأبٌ أنـتَ ونـحـنُ يـا أبـي ... عشنا بالحبِ على صدرك نحبو

لـك أبـنـاءٌ كـثـارٌ إنـمـا ... لـك فوقَ الكل يـا قـديسُ رّبُ
يـا قويًا ليس في طبعـه عنفٌ ... ووديعًا ليس في ذاته ضـــعفُ
يـا نبيلًا كلمـا عوديـت كم ... كنتَ تنسى الشرَّ للجاني وتعفو
يـا حكيمًـا أدَّب النـاس وفي ... زجره حبٌّ وفي صـــوته عطفُ
لـك أســـلوب نزيـهٌ طـاهرٌ ... ولســـان أبيضُ الألفـاظ عَفٌ
لم تنـل بـالـذّمِ إنســـانًـا ولم ... تذكر السوء إذا ما حلَ وصـفُ
إنمـا بـالحـبِ والتشـــجيع قـد ... تصـلح الأعوجَ والأكدرُ يصـفو
هكـذا كنـت حبيبًـا شـــائعًـا ... لكَ صـدرٌ واسـعُ الأرجاءِ رحبُ
وأبًـا كـنـتَ ونـحـنُ يـا أبـي ... عشنا بالحبِ على صدرك نحبو

[١٣] نظم أ. نظير جيد (البابا شنوده الثالث) هذه القصيدة في رثاء الأرشيدياكون حبيب جرجس في ٢٨ سبتمبر ١٩٥١م

يـا فقيرًا عبر الـدنيـا ولم ... يملك من قنيةِ الدنيا حطامًا
عُرض المـالُ عليـه فـأبى ... وازدرى المالَ ولم يبدِ اهتمامًا
في زمـان زحفَ المـال إلى ... خير أقداســـه فأظلم إظلمامًا
أنـت أغنى من ملوك ورثوا ... ورعـاةٌ جمعوا المـالَ حرامًـا
خطفوه من فمِ الجوعـانِ بـل ... من رضـــيعٍ لم يوفوه فطـامًـا
زاهدًا عشـــت كريمًا فاضـــلاً ... إن أغنى الناس مَن عاشوا كراما
ليس عيبًـا أن تولي هكـذا ... إنمـا التخزينُ والتكويمُ عيـبُ
أنـت أغنـى ببنـين كـلـهم ... عاش بالحبِ على صدرك يحبو

في ســـلامِ القلبِ نَم في راحةٍ ... في نعيم الله في حضـنِ الجدودِ
واســـمع الأنـغـامَ من داود ... واللحنُ ينساب مع القلبِ الودودِ
واشهد اسطفانوس الشماسَ في ... مقدس الأبكارِ في المجدِ العتيدِ
قل له قد عشـتُ في نهجك بل ... كنتُ أيضًـا في مماتي كالشـهيدِ
قـل لآبـائي صـــلوا واطلبوا ... نعمـة الله لـذا النشءِ الجـديـدِ
اذكـروهـم إنـنـي خـلـفـتـهـم ... يحملون العبءَ في جيلٍ عنيد
هكـذا كن مثلمـا كنـت لنـا ... إننـا أهلُ وأحبابُ وصـــحبُ
وأبٌ أنـتَ ونـحـن كـلـنـا ... عشنا بالحبِ على صدركَ نحبو

كروت بخط البابا

عن القديس الأرشيدياكون حبيب جرجس

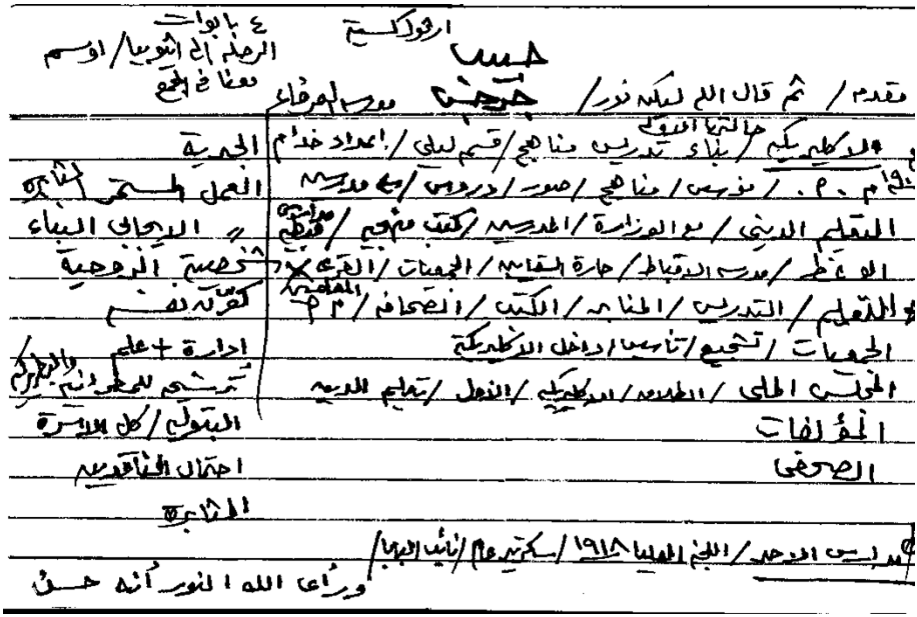

من صور الأرشيدياكون حبيب جرجس

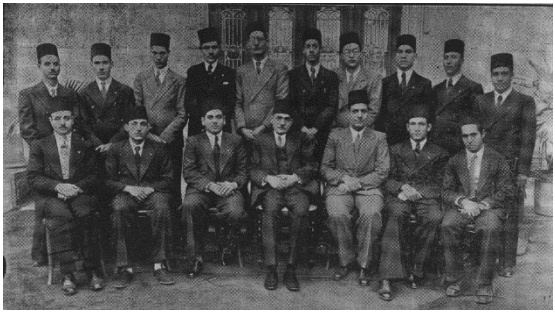

الفهرس

طرس البركة ٩

لقداسة البابا تواضروس الثاني..... ٩

هذا الكتاب.....١١

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور ١٣

الأرشيدياكون حبيب جرجس في سطور ١٥

فكان نور ١٧

حبيب جرجس الشاعر ٢٦

كارز العصر الحديث رائد التعليم المسيحي ٣٤

صفحة بيضاء من تاريخ كنيستنا ٤٥

رجل الفضائل ٤٩

أستاذنا الكبير ٦٠

غيرة حبيب جرجس ٧٠

الأرشيدياكون حبيب جرجس والإكليريكية.....٧٣

في طريق الأرض كلها.....٨٢

قال عنه هؤلاء ٨٧

وأب أنت.....٩٨

كروت بخط البابا عن القديس الأرشيدياكون حبيب جرجس..... ١٠٠

من صور الأرشيدياكون حبيب جرجس..... ١٠١